اللين ..

أَوْلَى المَطَالِبِ، في التعامل والتخاطب

بقلم
عبد المحسن بن علي المطلق
mohsnali@yahoo.com.

قدّم له
د/ خالد بن صالح المنيف
- دكتوراه في " علم النفس الإداري " -

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطلق، عبد المحسن علي

اللين.. أولى المطالب في التعامل والتخاطب./ عبد المحسن علي المطلق.- الرياض، ١٤٣١هـ

١٨٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٩ - ٤٩٢١ - ٠٠ - ٦٠٣-٩٧٨

١- الاخلاق الإسلامية ٢- العلاقات الإنسانية

٣- علم النفس الاجتماعية أ- العنوان

ديوي ٢١٢ ١٤٣١/٣١٩٩

رقم الإيداع: ٣١٩٩/ ١٤٣١

ردمك: ٩ - ٤٩٢١ - ٠٠ - ٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

فهرس

الموضوع	الصفحة



إن الحمد لِلهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

.. قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

الأحزاب: ٧٠- ٧١]، دلالة على أن القول (السديد) مُعينٌ على بلوغ صلاح العمل، وأيضاً –وهذا فضلٌ من الله- مغفرة الذنب.

جاء في (عنوان) هذا الطرح: أَوْلَى المطالب../ مشتق من قوله تعالى: ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٠]، اي أَحَقُّ عليك، ولها معنى ثانٍ: أي أقرب شيء لك أو عليك.

- كما سيأتي في هامش ص٨٥-

وبعـد

إهــــداءان

.. لمن تماثلا ولُطفاً، الأول: الأخ والصديق والرفيق (الرقيق)، والذي ما عهدت عنه منذ صحبته قبل خمس عشرة سنة أو تزيد.. — ولا زال- إلا وهو .. هادياً لطيفاً رقيقاً وديعاً..

كما .. ولا أذكر من بوادر صُحبتنا إلا وصِفاته تعلو مُحيّاه خَلَقاً وخُلقاً، تعاملاً ونصحاً..

بل وما يزيدني مما يرتوي إلا علماً وحلماً، ولا يضنّ عليّ بما ينهل من العلم قليلاً كان أو كثيراً، فما التقيته إلا واستفدت منه، أو طغى على لقائنا العلم النافع، مع.. الحضّ على الخير والتواصي بالحق.

فهو تحسبه قد حقق، أو تحقق بمثله إحدى المعجزات: (الخلّ الوفي)، أو لعلي لم أتجاوز.. إن قلت: **(صديق) صدوقاً صادق القلب.. منصفاً.**

.. ومما يُجمّله أنه لم يرتجل هذا (المجد) الأخلاقي، ولم يتصنّعهُ، بل سجيةً فيه.. تحسبِها، ولهذا لم يبتذل أبداً ما توشّحه.

إنّه.. الأخ الوفي (النقي) العلم:

ماجد بن عبد الرحمن بن سليمان البطي

والثاني: الذي أبثّه مع أشياء من (محاسن) ما تقدم، ولمكانته في القلب لأثره البالغ، وسماحته، وروح جميلة بين جنبية، إنّه ابن العمّه :

عبدالله بن فهد بن محمد الشمري

.. الذي .. لا يذكر شخصاً بمثلبة، ولا يقول في أحد مذمّة، ولا تحسب في قلبه مثقال (ذرة) .. من كبرٍ ، بل ليس بعاتبٍ أو معتب!

فـ.. حفظهما الله، ورعاهما، وسلّمهما، وبارك فيهما، وللخير بلّغهما.. وسدّدهما في القول والعمل .. بإذن الله.

الداعـــي ..

لطرح هذه (المادة)؟

افتتحُ بـ : الحمدُ لِلهِ الذي هَدى، والصلاة والسلام على من بُعث بالُهدى.

هذه رسالة .. في (اللين)، مرادها : تليين التعامل والتخاطب على السواء [1].. وما ذاك، إلا لما اعترى جُملة من العباد اليوم.. وفي خضم ثقل الحياة- أو تناوء أعبائها- ما أفرز لغة أُخرى بيننا، ما عُهد غالبها من قبل .

لعل في طرحها ، واستقرائها ما يعيد للذهن السوي حُسن الوزن[2]، ووضع أمور الحياة في نصابها، فلا تأخذ منا (زخماً) ليست له أهل – كما في نُصحاً (ص٨٦)-

بخاصة ونحن عباد الله.. وخلقه .. وعياله .. وإماءه.

أيضاً.. لأننا بهذه الحياة المُثقلة – كما سيأتي بسطاً ص٥٥ ، بذاتها، فما أحوجنا.. لمثل هذا (التوجيه).

بل.. أحسب الحاجة تفيض اليوم، من خلال (نهج) الكتابات المتسامحة، والقلوب الصافية التي تحمل الحب والإحترام لمن يختلف[3] معها.. بنفس القدر الذي تحمله لمن يتفق معها.

---

(١) .. قال تعالى:﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى﴾يونس : ٢٦] لا أحسب أن أحداً من (المفسرين)- على اختلاف مذاهبهم، ومشاربهم - شذّ.. عن أنّ دلالة الآية تعني/ الإحسان في القول والعمل.

(٢) بل إن (العنف اللفظي طريق الانفلات الاجتماعي) كما أجمع أهل الاختصاص في الشريعة وعلم النفس- .. وهذا ثمرة: ندوة طرحتها صحيفة الجزيرة، في عددها: ٣٤٦٩١-

(٣) و.. كما قال أحدهم/ فلان أختلف معه نعم، لكن لا أختلف عليه، ولا على قدره.. الخ . =

وهذه الروح (المتسامحة) كفيلة بإذن الله بإزالة (كل) ولا أقول بعض الانغلاقات الفكرية[1] التي نُعاني منها- .. والتي أبلغت بعضنا (مع الأسف) شُقّة.. ما أبلغت!-

.. فيما تصعيد اللغة، وتوسيع دائرة الإتهام، وحشر كل المخالفين في زاوية واحدة[2]، وشطب كل المناطق المحايدة .. لا تزيد النار إلا وميضاً وأوآرها إلا لهيباً، بل إن فسادها يزيد على صلاحها.

ثم .. لا أريد أن أتمادى في عرض الأسباب.. أو أُغرق فأقول :

أن الوضع بلغ الظاهرة! [3] ، وذاك بحجّة أن هناك دوافع من نمطية الحياة العصرية - اليوم- ما جعل الحالة النفسية للغالب تبلغ ذلك، بخاصة من تابع أسباب الشد العصبي، أو ما أتى بأدواء: الضغط والسّكري والقلق .. إلخ!، كتب د. محمد الحمد:

(الحياة مليئة بالأحداث ، حافلة بالمواقف، والإنسان – أياً كان- مُعرّض لما يكون في هذه الحياة من صحة ومرض، وغنى وفقر، وسعادة وشقاء، وفرح وحزن، وما إلى ذلك من مجرياتها، والعاقل هو من يوطّن نفسه على كل وارد، ويستعد لكل آت .

= .. وإن كنّا لا نعدم (صنفٌ). إذا ما أعيته الحجة، فـ (يصنفّك) بأحد مسميات (لها في ذهن المتابع مرامي أخرى) فيحجّمك بإحداها، ثم ينفيك، هذا إن لم يستعدي عليك.

(١) وهذا منشأوه، كما يقول بعض علماء النفس كـ (د. هاد فيلد) – في كتابه " سيكولوجية القوة"- : (إن القسم الأكبر من التعب الذي ينتاب الإنسان إنما هو ناشىء من الناحية الذهنية، لكن الحقيقة أن الإرهاق الناجم عن العمل الجسدي إنما هو غاية في الندرة إذا تفحصنا ذلك).

(٢) .. وقد حاولت (تجلية).. في : ثالثاً- ص ١٥٨-

(٣) كما سيأتي (تفصيلاً) ص٦٣، وما بعدها.

- ولا خــــير فـــيمن لا يـــوطّن نفســـه   علـى نائبـات الـدهر حـين تنـوب -

والذي يلاحظ أن من الناس من لا يوطن نفسه على وقوع ما يحب أو يكره، فإذا وقع ما يحب مما لم يكن قدره أشِرَ، وبَطَر، وبالغ في الفرح[1]، وإذا حصل ما يكره قنط، وانقبض، وربما فقد صوابه)!

.. والأدهى – من ذلك – حين يُعاقب الآخرين بخاصة (ذووه)، بما يتجرّعهُ منها!!

.. ولا مبالغة في هذا، ففي هذه الأيام كم تمطرنا وسائل الإعلام يومياً بقصصٍ تصوّر القوة الرهيبة للغضب حين يتفجّر، والله يقرّب لنا بـ : ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأنعام : ٦٥] .

وليس هذا فحسب، بل إننا في حياتنا اليومية مُحاطون بأمثلة للعديد ممن يبدو عليهم أنهم قد ارتفعوا حتى عن مستوى (الرحمة) – أي: هذه: (العاطفة) الحيوانية .. البدائية - مع الأسف – !

كما ولا أود أن أجلد في (الذات) .. فهناك ما يكفي، لكن[2] هي حقائق، إن لم نُبدْها ونبسطها لـ (العلاج) ، نكون كحال من أخفى رأسه في التراب!

.. وإن كان من أن جلّ ما أبلغ حال كهذه هي: أجواء الإزدحامات، وحياة المُدن[3] الكئيبة – غالباً - ، مع (أسباب) معاضدةً.. مثل صعوبة العيش و(وهن)

---

(١) وهذه حالة عن هذه النفس البشرية، عرضها القرآن : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾[الإسراء : ٨٣]

(٢) وإن علّق أحد العلماء- على ما يحدث من إفراط في (الرذائل) وتفريطٍ في (الفضائل) .. بشيء من (عُذرنا)، أمام ربنا: " عزاؤنا.. أننا بين يدي الساعة"! - كناية عما ورد من نصوصٍ تدلُّ على غلبة (الشرور).. التي تأتي بآخر الزمان مما لا يخفى، والله أعلم-

(٣) الذين أُوجّه لقاطنيها غالب مرامي – أو .. طرحي – هذا .

القدرة من تملّك كمالياتها من سكنٍ أو غيره، وكذا انحسارٍ للمساحة (المفروضة) في الحصول على العمل – . ما نُعتت بـ : البطالة - ..الخ .

.. وهُنا، فقد لاحظت- أثناء محاولتي استكشاف القوة الإيجابية للغضب- أن/

الإحباط واليأس مشاعر مألوفة[1]!

حتى لتجد أن الكثيرين من المستضعفين و.. في أفضل الأحوال كأنهم:

عاجزون عن (ردّة) الفعل الموجبة،.. حتى في تلك الحالات التي تستوجب الشجاعة لردّ الحق.. لا الغضب! ، وذاك أن هناك (ضعف) فيسفلوجي – غير ملحوظ- وهو ما يسمّى بـ (المجاملة)!

مما .. يسلّموا إلى إهدار - من جراء ضعفهم- حقوقهم باستمرار.

أعيد.. وأزيد: أن تلك (عوامل) .. تَبلْغ بالناس[2] حالة يُوجب على (العاقلة)[3] إعادة التوازن، أو على الأقل السعي إلى ذلك، بالتركيز، والتنبيه،والحث، .. و .. و . .

---

(١) .. لأن العادات القديمة الخاطئة منها (تحديداً): يستحيل على من لا يملك القوة والإرادة (الذاتية).. كسر دائرتها.

(٢) بخاصة تلك التي بالفعل يخدش صنيعها حياء المجتمع – كافة- من شليلة لا تودّ إلا إستماع ما يروق لهم، أو يُشبع شهواتهم (المسيطرة)، والحقيقة التي يلزم إيضاحها: أنه لم تكن تلك (المعايب)... أبداً :

بمنأى عن نقد المتزنين، ومع كل هذا وذاك يُصرّ هؤلاء على التصدي لجميع تلك القيم والمثاليات انتصاراً لنزواتهم الرخيصة، يتجلى ذلك بوضوح عندما يُلبسون فعلهم المشين ثياباً أخرى مغايرة لمكنونها الفعلي، غير آبهين أو مبالين بتلك الانتقادات اللاذعة أو بتلك الأعين التي ترمقهم بعين الشفقة والرحمة، مُرددة أن:

كيف وصل بهم الحال إلى هذه الدرجة من هوآنهم بأنفسهم قبل استخفافهم بأمّتهم ؟!

(٣) وهم: من إليهم يناط (عمل) .. وقيادة المجتمع لبرّ الأمان، كما في حديث (السفينة) –الذي رواه البخاري- .. المشهور، والمعروف مراميه.

ثم، فأعلم : أن باعث النصح وأحد من أربعة، الأول: أن تكون من باب الحب كما في قوله ﷺ :{ والله لا تؤمنوا حتى تحابوا..} [1] أيضاً في الحديث الأشمل:

{ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبُّ لنفسه}.

الثاني : التعاون على البر و التقوى، كما أمر سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة : ٢] ، والتواصي بالحق.. الخ – مع الصبر [2] عليه-

الثالث : الشفقة ، للحديث: { مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمى}.

والشفقة أكبر دافع لها، هو : الخوف على أخيك المسلم أن ينزلق أو يقع في حبائل الشيطان، أو حتى ينشب في براثن المعصية.

كذلك قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾[آل عمران : ٣٠] .. ثم قال ختم الآية بـ : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران : ٢٨] .

الرابع: النصح ، لقوله تعالى ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ * إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[التوبة : ٩١] ، وفي الحديث: { الدين النصيحة} ، ثم :

إذا قمت في أمر (صدوقاً) ولم أُصب … نفى اللوم عني مركب الصدق زورقي

أأخفي هوى نفسي وحبي مخافة … يلوك بعرضي غائباً كل من شقي؟!

---

(١) ثم دلنا على ما يعين لذلك بـ .. { أفشوا السلام بينكم} ، وللحديث { ما حسدتكم يهود ، كما حسدوكم على التأمين والسلام}.

(٢) انظر - المعنى- موجزا: في سورة (العصر)..

كفـى أنـني في الصـدق قمـت بـواجبي وما عيـب ذو صـدق إذا لم يوفـق

فلن استأثر أو أدّعي (التنظير)!.. لكن أذكر ما يحضرني، مما أحسبه دعائم للنفس.. للتقوّي عليها[1]، وأطرها لاكتساب هذه المنقبة، حُجّتي، ما سبق من (أربعُ) أسبابٍ ترفد هذا الخطاب.

كما أو (عوداً على بدء) أقول : لا أظن أن كل شيء يحتاج لسبب أو تعليل لطرحه[2]!

وإنما يورد – أحياناً- السبب إذا ما كان الأمر فيه (جرعة زائدة) إما في التوبيخ أو حتى اللذع!

وغني عن القول المشهور (الحاجة أم الاختراع)، فكذلك إن لتواتر الشيء أو الرؤى حول موضوع ما، يُعين على فصام حمله، وتقرب ولادته..

فما هو مشاهد اليوم من تأزّم .. وضيق نفس، أو تحجّر – في التخاطب، وقد فاض بعضه إلى أن بلغ التعامل-

.. مع دواع لا داع يُلزم بسطها.. أحسبه عندها قد بلغت (الحاجة) ذروتها في بسطها أو عساها تكون (دواء) ولو لتخفيف تبعات هذا التأزم، ولن أقول الآمة - وإنشاء الله لا نبلغ درجتها-



---

(١) وعن ذوي الهمم كما سيأتي (رابعاً) ص١١٧: فقد أقسم المولى بـ ﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة : ٢].
فتلوم صاحبها دائماً على الحالين، على الخير – لما قصّرت- !
وعلى الشر - .. لما أقدمت- أو على ما فات – لما فرّطت-

(٢) حتى قيل: **الموت بلا أسباب هو السببُ**.

أمّا قبل ..

فهذا الطرح أو (غاية) القصد منه : أنه ليس بكتابٍ ولا مادة، بقدر ما هو (رسالة) في ..

(اللين)، تذكيراً به أو هو دعوة إليه.. ، بل قُل (حضّاً) عليه، وتواصٍ به.

.. فيما ليس لمن طرحه.. سوى المحاولة فحسب، يأطرني القول بهذا، ما ختم به أحد (أهل اللغة) .. بعد ما أورده من إبحارٍ في تخصّصه بالقول :

(وأحسب أن كثيراً من القراء الأعزاء يُدركون معنى هذا، لكني أذكره هنا من باب الذكرى والتنبيه..) وهذا قمة التواضع، فمن باب أولى قلم صاحبكم (إلا دلاء) بهذا.

.. وتنبّيه أشمل/ أن من أراد التوسّع فليرجع إليه في مظانّه.. من أسفار أهل العلم، وأُمهات[1] الكُتب المعتبرة، فهو لا يحتاج إلى كثير عناء.

نافلة / أخي د. خالد المنيف ، حاز لدي من قبل أن أتعرّف عليه (شخصياً) مكانة خاصة لما أثـّر بي .. بصفحته وهي - على مُسماها- : (جدد حياتك) الصادرة في كل يوم جمعة - بصحيفة (الجزيرة[2])- .

فكان أن تسابق عطائي ليحظى من لدنه بشيء مما عُهد عنه..

(١) ... و(أمهات) الكُتب هي : (أوائل) ما صُنّف في العلم الشرعي أو ما أُعتُدّ بها، فأخذت من الأمة مقاماً وقدراً.

(٢) وكذا (ورود الأمل) الصادرة في يوم الأثنين – بنفس الصحيفة-

فكانت رسالتي إليه (الموجزة) - بالجوال -: (أخي أبا صالح ، لدي مادة بعنوان " اللين " .. أقصد بها اللين بشقيه التعامل والتخاطب، يسرني أن تطلّعوا عليها ، ومن ثمّ تُتوّج بمقدمة من قلمكم، زاد فضلكم، فما قولكم) ؟

فكان جوابه الذي أغرقني – مما قل ودل- .. لأنه (وافٍ) عن أيّ ديباجة:

(شرفٌ لي، أخي الحبيب) .. جملة باقية في عقبي - له- ، كافية عن أي شرح لها ، أو طرح.

(مُعـــدّ) المـــــادة





مُقَدِّمَة(*)

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده وصلاة وسلاماً على سيد البشر عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ثم أما بعد، شرفني الأخ الفاضل الأديب **عبد المحسن المطلق** وفقه الله بكتابة مقدمة لسفره الجميل، وكنت أبري القلم ثم اكسره، حيث استقبلت رغبة الأخ " أبي زياد " بثنائية شعورية جعلتني أفكر في الأمر طويلا، تَسآجل الكرُ والفرُ فيها عندي وتبارز المد والجزر في نفسي ، فمرة أميل إلى التراجع ويراودني هاجس الاعتذار لا نكراناً للجميل ولا جحوداً بالفضل! بل هو خوف من مصارعة أمواج في بحر لا أُجيد العوم فيه حيث خشيت أن أظلم نفسي ولا أُنصف الكتاب وصاحبه.

وتارة أخرى أجدني اجنح للإقدام متشجعاً على التفاعل مع الاقتراح والمشاركة بكتابة "تقريظ" لهذا الكتاب والاحتفال بإطلالة معلم فكري جميل ومولد عملاق إنساني رائع، فكيف إذا نُسب هذا الوليد إلى إنسان ما عرفته إلا محباً للخير دائم الركض في مضمار العطاء، والحمد الله فقد انتصر الأمر الثاني فكانت تلك الكلمات...

(*) بقلم الدكتور خالد المنيف (دكتوراه وماجستير في علم النفس الإداري، وشهادة البكالوريوس- كية الشريعة- تخصص شريعة، مدرب معتمد في تطوير الذات، تنمية الشخصية، من المركز العالمي الكندي-
و.. قد عرّف بنفسه (تواضعاً) في الصفحة التالية بـ (كاتب في جريدة الجزيرة).. فقط.

البشر كما - يقول علماء النفس - كائنات عاطفية، وكلما أَوَغلت المجتمعات في الحضارة كلما تضورت جوعاً وحاجة لمزيد من اللين والرقة. وقد وجدت في هذا الكتاب باقات من البحث المتقن في (موضوع اللين)، والاستقصاء المدروس والجمع المركز الدقيق، واحسب أن ما فيه من مواضيع سيثير فضول الكثيرين واهتماماتهم ..

ختاما اسأل الله أن يجعل ما في هذا الكتاب شموع فرح ومصابيح هداية ونبضات أمل تدب في وسط هذا العالم الموبوء صلفاً و ألماً وكُرباً وجُحوداً ويأساً..

- كذلك- محرِّضاً للكثير.. للتفاعل وبذل الجهد فيما ينفع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد،،،

د. خالد بن صالح المنيف

- الكاتب في جريدة الجزيرة-

مقدمتي

الحمد[1] لِلهِ بَعث محمداً بالحنيفة السمحة، كما قال ﷺ :{ بُعثت بالحنيفة السمحة}، وتفضّل عليه مولاه بقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] قال قتادة- رحمه الله- تعليقاً:

(لقد برأه الله من الفضاضة والغلظة، فجعله سهلاً سماحاً، رحيماً بالمؤمنين، قريباً منهم)، ولا عجب أن يكون ﷺ :

(رحمـــــــة) أرســـــله الله لنـــــا وشــفيع قــد غــدا فينــا.. غــداً

أجل، وقد وصفه ربه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]، بل.. طُلب منه أَنْ يبلْغ[2]: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[3] فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤]، حتى أوجز لأمته- عليه من ربه أزكى صلاة وأتم تسليم- : { إن الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه}رواه مسلم، كما وجاء.. في وَصَفهِ للمؤمن أو في (كماله) بالحديث :

---

(١) جاء في الحديث {كل أمر ذي بال، لا يُبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية: بالحمد، فهو أبتر} أي ناقص البركة، فالحمدُ هُنا: ثناء اللسان، فيما الشكر ثناء الجوارح-

(٢) .. حتى قال فيه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ويقول ﷺ: { أدّبني ربي فأحسن تأديبي}، وتقول عائشة رضي الله عنها موجزة : (كان خُلقه القرآن) ..
هذا الذي تربى يتيماً، فحريّ بكل من تيتم أن يأخذ بهذا المنهج العظيم (القرآن الكريم)، تأدباً، فهول (له) كافٍ.. ليقتدي بهذه القدوة العظيمة.

(٣) .. وهذه هي: الجملة (الجامعة) التي وسم بها د. عبد السلام العجيلي -رحمه الله- كتابه: (ادفع بالتي هي أحسن).

{ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً، الموطئوون[1] أكنافاً، الذين يألفون ويُؤلفون ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف} ، بل جاء في بشراه { .. تُحْرُم النار على كل قريب هين لين سهل} الترمذي وأحمد.

وبهذا يتبيّن أن ديننا ينظر إلى سمو الهدف مع نُبل الوسيلة ، لحديث: { إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم – أي في الحروب- فأحسنوا القتلة..} متفق عليه، خلافاً للنظرية (الميكافلية) التي ترى: الغاية تبرر الوسيلة!، وهنا تمعَّن بقوله تعالى : ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ ﴾ [2] [المائدة : ٩٩] .

.. وبسطاً : أن في الإدارة يُقاس الإنجاز على الأداء، لكن في ديننا يُقاس العكس، أي : الأداء –نوعاً- مقدّم على الإنجاز ، بمعنى أن الوسيلة (مصلحة ذاتية بعينها) فهي متلازمة مع الغاية، إن لم تكن الوسيلة أهم وأولى، كمتعلّم اللغة الأجنبية:

فـ (لو) أُعطيت أكبر شهادة بها، ولكنّك أخذتها خِداعاً- أو غشّاً- .. (اي: لم تتقنها) .. فهي خديعة عليك[3] قبل أن تكون لك! ، .. وهكذا.

نعود لـ (سمو) الهدف تبياناً: الناس إن لم يقدروك فلا تُعر ذاك كبير اهتمام، فإن (رضا الله)[4] سبحانه مقدّم دائماً على إرضاء الخلق، وإذا كان البشر ليس من

---

(١) أقرب تقريب لهؤلاء (الموطئوون)، ما يوجز عنهم " جمال الكاشف" أو هم الموفقين:
(هم الذين ينظرون إلى الحياة نظرة إيجابية ، ويتمتعون بشخصية ديناميكية. ويتحركون معظم الوقت وفي كل اتجاه، ونتيجة لذلك تتسع أمامهم دائرة الفرص وتكثر الخيارات..) .

(٢) مع أخذ بعين الإعتبار الإجتهاد بالتحبب، والترفق و(المجادلة) بالتي هي أحسن.. الخ ، لبلوغ ذلك – وليس عليك النتيجة- ، انظر في هامش ٤ ص٥٥.

(٣) حتى وإن قبلتها ، فلن تنطوي مراميك منها على أحد!!

(٤) ..وأعلم – كما قال ابن تيمية (رحمه الله) – أن : (الرضا بالقدر جنة الدنيا ، ومُستراح العابدين، وباب الله الأعظم)، وقد أوجزت عن الرضا.. فصل كامل في كتابي (الحياةالطيبة).

السهولة نيل إجماع[1] غالبهم عليك ، فكذلك لست مُلزماً –شرعاً- أن تحوز منهم تلك الدرجة .. وإن كتب الله لك أن بلغت لديهم ذلك المقام فقد جُمع لك الحسنيين، وفاضت[2] عليك –عندها- المسؤولية..

لكن على أن لا يأخذ منك هذا الأمر إهتماماً كبيراً عن حدّ أن يقبلوا منك الحق الذي تُبديه، فليس "رضاهم" هو الغاية التي سعيت إليها أو حتى كانت من جوانب مرامك أن تحوزها.. منهم، لكن وبعد رضاء الله ثم تقديم (عذرك) له سبحانه/ أن بيّنت ، وقدمت ما على عاتقك (من علم) لإخوانك، هو مناط.. قصدك، وإلا :

مــــا حيلـــة الأنـــوار أنّ شـــعاعها أنْ لا تراهـــــا عــــين الأرمــــدِ؟

مع مرام إيضاح التالي :

كان حبيبنا ﷺ أرأف الناس وألطفهم، وما كان يغضب إلا[3] حين تُنتهك محارم الله، وهذا للعلم.. قمّة التوازن في استخدام الغضب- أحد طبائع .. أو ما جُبل عليه بنو آدم – في موضعه ، لأن مما أجمع عليه المربّون أن (رحمة بلا علم لا تفيد، كما أن علم بلا رحمة لا ينفع[4]) وهذا آتٍ من باب التلازم بين أمرين ، مثلاً:

التوكّل وفعل الأسباب، متلازمان[5] – كجناحي طائر- ، فمن ترك أحدهما هوى، قال ابن تيميمة – رحمه الله- :

---

(١) بل ذاك نوع من المستحيل، للقاعدة (رضاء الناس غاية لا تدرك)!- كقصة جحا مع ابنه.. والحمار-

(٢) لأنك من المعلوم عندها: تكون (النموذج) لهم، والحجة في المحاكاة لديهم.

(٣) كما سيأتي تفصيلٌ لهذا الإستثناء.. ص/١٤٩- نقطة: أحد عشر- .

(٤) قال د. صالح اللحيدان: (قدّم العقل السليم على العاطفة في سياسة نظر الحياة .. واجعل العاطفة خادمة للعقل).

(٥) ومن تأمّل في النصوص وجد الرابط.. في هذا واضح، فإن الرزق المكتوب مربوطٌ بالأسباب، مثلاً (كتب الله أن تحصل على كذا، أو وظيفة إدارية- مثلاً- إذا أخذت شهادة) .. وهكذا.

(ترك التوكل قدح في المعتقد ، وترك السبب قدحٌ في العقل)، والله يقول لنـا : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ [الملك : ١٥] فقدّم السبب (المشي) على الأكل، دلالة أو استشفاقاً على فعل الأسباب - والله أعلم-

إيضاحٍ أكبر ، قال أحد السلف : (ثلاث آيات في القرآن مقرونات بأُخرى، ومن يأتي بأحداها لم تُقبل الأخرى، الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢] فإن من أطاع الله ولم يُطع الرسول لم يُقبل منه، والثانية : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة : ٤٣]، فإن من أقام الصلاة ولم يؤتي الزكاة لم يُقبل منه، والثالثة : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ[1] ﴾ [لقمان : ١٤] فإن من شكر الله ولم يشكر والديه، لم يُقبل منه) !

ولأجل بلوغ ما تقدم، فقد كان ﷺ يربّي أصحابه على هذا إبتداء بنفسه ﷺ - انظر ص٦٧-

بل يسمو[2] بهمهم إلى الأعلى من مكارم الأخلاق ورفيع الآداب ومعالي الخصال، كما قال تعالى : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ [الفرقان : ٧٤] أي: الإمامة في الدين والقدوة للمتقين[3]، وليكن دائماً ميزانك مع الخلق : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] قال بعض السلف : " ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية " [تفسير القرطبي]، فالعفو : قبول أخلاق الناس وأعذارهم، ومراعاة طبائعهم، والتجاوز عن تقصيرهم.

(١) والثالثة هذه، يوضحها الحديث : { رضى الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين} !
(٢) .. انظر مثلا: في (رواية) أبي بكر ﷺ مع قريبه: مسطح- فيما يأتي ص٤٠-
(٣) وهذه الدرجة لا تُستحصل إلا بالصبر واليقين.

والأمر بالعرف : إرشادهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. أيضاً : الإعراض عن مجادلة السفهاء، أو مقابلة أذاهم بالتشفي والانتقام.

.. وقد جاء في أدب الدين: أنّه إن حصل أن (وقع) المسلم بشيء من هذا ، فإنه يتدارك .. ولا يُمعن، كما في التوجيه النبوي عن النظرة: { لك الأولى، وعليك الأخرى} .

قال أحد أجلائنا: (سمعت للغناءِ، لكني لم استمع إليه) قصده: أنه نبأ إلى أذنه دون اختيارٍ منه!، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ[1] مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] واللغو : هو كل كلام أو فعل أو باطل لا حقيقة له ولا أصل.

هذا.. بنفس الوقت الذي كان يحثّهم به القدوة - ﷺ ..- من إحسان معاملة كافة الخلق ، والتواضع للمسلمين[2] بخاصة ، والرحمة بهم، والسعي في قضاء حوائجهم.

ولا غرو[3]، فـ (كل إناءٍ بما فيه ينضح).

.. وهل في (إناء) أهل الإسلام إلا الخير،وقوله، والعمل به، والأمر به، بل قُل: والحثّ عليه، ومن ثمّ الصبر على ما يجدوه في ذلك؟ أبداً أبداً.. أن تجد –لديهم- .. سوى ذلك.

قال تعالى : ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[الإسراء : ٨٤] ..

---

(١) يُقال في اللغة: بغى على الناس بغيا: أي ظلم واعتدى فهو باغٍ ، والجمع: بُغاة. وبغى: سعى بالفساد. وعموم الفقهاء متفقون مع هذا المعنى اللغوي ولا يخرجون عنه إلا بوضع بعض القيود في التعريف.

(٢) فأهل الإيمان : أو حالهم:﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح : ٢٩]

(٣) أي : لا غرابة – في هذا-

أي: كلٌ يعملُ على حسب مَن يُشاكله – أي: يماثله- بالخُلق، والنفس.. أيضاً.

.. فإن كانت نفسه طيبة طاهرة ، صدرت عنهُ أفعال جميلة وأخلاقاً زكية، لأنه يُحاكي[1] من يرتقي بذاته: (بأعماله وأخلاقه...) إلخ.

وحين طُرح تساؤل: هل للأخلاق عدوى ؟

كان الجواب الحتمي نعم تُعدي، وتنتقل ، بل تسري (سريان النار في الهشيم)، كما يُقال.. والصاحب ساحب، كما: **والقرين بالمقارن (يقتدي)** ..

ولهذا أوصى أحدهم بـ (إذا وفّق المرء بصحبة من هم على الطريقة المُثلى في الفضائل –والمكارم- فليحرص على رفقتهم، ومن ثم الاقتداء بهم، وسبر[2] أحوالهم، ، والسير على منوالهم).

فإذا اختلف المرء إلى هؤلاء، وأكثر من لقائهم وزيارتهم- ولو لم يُصاحبهم باستمرار – تخلّق بأخلاقهم، وقبس من سمعتهم ودلّهم.

قال أحد تلامذة الإمام مالك: (لقد تعلّمنا من أدبه، أكثر مما أخذنا من علمه).

ويروي أن الأحنف بن قيس[3] قال : (كُنّا نختلف إلى قيس بن عاصم نتعلّم منه الحلم كما نتعلم الفقه).

---

(١) كما قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾[الكهف : ٢٨]

(٢) السبر : أي التعمّق بالشيء، وحُسن استقصائه.

(٣) الأحنف بن قيس التميمي- رحمه الله – عاش في القرن الأول الهجري ما بين : العراق – مكة – المدينة – الشام، وهو من كبار المخضرمين لكنه ليس صحابياً. وهو رائد بني تميم في زمانه.

ولا يلزم أن يكون هؤلاء الذين يختلف إليهم من أهل العلم، بل قد يُوجد من العوام من جُبل على كريم الخلال وحميد الخصال.

قال ابن حزم : (وقد رأيت من "غمار العمار" من يجري في الاعتدال وحميد الأخلاق إلى ما لا يتقدمه فيه حكيم عالم رائض لنفسه، ولكنه قليل[1] جداً).

والعكس كذلك، فإن بعض من تألف عشرته إلزاماً!، حاله لا يسرُّ صديق ولا يغيظ عدى!

فإذا كان ذا أخلاقٍ مرذولة كان أثرها على من يقرب من أصحابها وشيكاً، فمجالسة السفل، والثُّقلاء، والبُخلاء ، والكُسالى، والعَابسين، وقليلي المروءة - وما جرى مجرى تلك الطباع- تورث التشبّه بأصحابها، وتمثّلها .. ولو على المدى البعيد[2]، قال الحكيم العربي :

ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة إليها ولكن الصحيحة تجرب

أمرٌ مهم.. هنا: فإن وجد خيراً – على ما يصنع – : أي أثراً على من يُلازمه، أو حتى من نتاج صنيعه (خيراً) حمد الله، وإن وجد غيره .. تعاهد ذاته قبل الفوات، ليبلغ درجة ما استحثّنا إليها المولى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩] ، والفلاح هي أسمى درجة، بل قال بعض المفسرين: لا يوجد كلمة تجمع خيراً.. أو قال فضل الدارين، ككلمة (أفلح) وفلح- ومن مشتقاتها: فلاح ومفلح-

---

(١) وتستشف من (قليل)، في قوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] .

(٢) يحسن بمن بُلي(*) بمعاشرة من لابدّ له من مخالطتهم- ممن لا ترُتضى طرائقهم- أن يحترس غاية الاحتراس من سريان أخلاقهم إليه، فللصحبة أثرها البالغ في سلوك المرء، فالصاحب ساحب، والطبع استراق، فمن جالس الأشرار وعاشرهم فلابد أن يتأثر بهم ويقبس من أخلاقهم، فمجالستهم تنساق بصاحبها إلى الحضيض، فكلما عم بالنهوض والتحلي بمكارم الأخلاق، والتخلي عن مساوئها- عوقوه، وثنوه، فعاد إلى غيّه، واستمر على جهله وسفهه.

(*) من قولهم (شرّ البلايا مصاحبة من لا يوافقك، ولا يفارقك)!-

.. وبعدها : هل تمادينا أو بالغنا إذا ما قلنا إن (اللين) هو :

عنوان (الخطاب الإسلامي) بحق – لمن في منهجه دقق[1].. – فالدين بإيجاز: التوحيد الحق والإحسان للخلق، وأي إحسان كتعليم جاهلهم والتحمّل من وضيعهم.. الخ

لأن { البر[2].. حُسن الخُلق} كما بيّن لنا هذا حبيبنا ﷺ.

فـ .. لو جاوزنا في النصح- لهذه (الدعوة)- لقلنا إنها (أو نتاجها) لك.. أولاً، قال د. صالح اللحيدان : " نقِّ قلبك من كل ضغينة وحسد وسوء ظن تطمئن في الحياة، وأدخل في نفسك التفاؤل[3] الحر النقي، ولا تكن أداة لغيرك تفلح في الحياة، و إذا أردت الثقة وأردت النجابة وتجديد ماء الحياة بإذن الله تعالى فلا تؤذ الضعيف ولا المضيوم وعش في حدود يومك وتعلّق بالله تعالى في يومك وغدك).

وتنبيهٌ هُنا أن لسوء الخلق، أركانٌ أربعة :

الجهل، الشهوة، الغضب، عدم العدل، فأيهن عِلق بصاحبها، لا شك (ساء) صنيعه، أو قوله.

---

(١) لأن لأهل (الحق) والخير علامات لا تخفى على كل ذي لبٍّ، .. روى عن عيسى – عليه السلام- : قوله : (من ثمراتهم تعرفونهم).

(٢) البر : - بكسر الباء، وتسكين الراء- : اسم جامع لكل أعمال الخير.
ومن معانيه/ العمل الصالح، و(الجنة)، أيضاً.. في قوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، فـ : **تقوى الإله ذخيرة للموئل و(البر) خير مطّية المتحمل**

(٣) قال حكيم- بالدنيا عليم- : (تموت الأشجار واقفة.. لكن شجراً آخر لا يموت فهو ينتعش وينمو على سوقه إذا هب الهبوب تمايل ليرتشق من قطرات الندى) أخي.. لا ،تيأس، فالأمل بالله باق.. دائم.. خالد ، فقط في (خُلد) المؤمن.. بربه.

جعلنا الله وإياكم ممن قال فيهم الرسول ﷺ : { إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً } ، رواه أحمد والترمذي وابن حبان.

أيضاً .. وتمعّن وتدبّر في أي كتاب الله، فـ (سبحان الله) كنت أتتبع تلاوتي، فوقعت من خلال عشرين آية –فقط- ، بأكثر من ثلاث مواضع من آياتٍ ، تدلّ على الإحسان بشقيه الفعل والقول.، ﴿ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، و ﴿ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] أي : إحساني الفعل .ومن ثم القول ، كما ولا يكفي القول بلا عمل، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤] ، وأدنى من القول أيضاً..

فقد بلغ حتى في النيّة، فقد ذهب ابن أبي الدنيا إلى أنه (إذا قال الرجل لأحدهم: تفضّل، وهو لا يُريد! كُتبت عليه كذبه)- من كتاب " الصمت"-

وهنا يجدر بنا الـ (تنبيه) إلى أن خطابي هذا يشمل القصدين/ **اللين في التعامل، واللين في المخاطبة**، أي الفعل منه وفي القول[1]، بل إن الفعل في هذا مقدّم.. للحديث الجامع[2]:{ رحم الله امرأ سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى..} الحديث.

(١) كما سيأتي بياناً وإيضاحاً في : ص ٣٦ .
(٢) وبالغ حين بلغ أمور الدنيا (الصرفة) ، .. ما قاله الشاعر :

مــــن لـــــي بســـــيرك الــــذلّل   تمشـــــي رويــــداً، وتجــــيء الأول

ختم (المقدمة) :

لكن، أو.. ليُعلم أن أعظم باب يأتي منه اللين هو: (التسامح)، لهدفٍ أسمى يبتغيه صاحب المرام العالي.. الغالي، وهو: الحق ﴿لقدأبلغتكم رسالة ربي﴾ [الأعراف : ٧٩] لكي يكسب به الآخر .. المقابل :

تسامح[1].. فإنك خير النفوس إذا قيس كلٌّ على ما انطوى

.. في إيصال رسالتك إليه، من نُصحٍ وحبٍّ ، ونفع له .. أيضاً ، ثم (الحلم):

{ اللهم إهدي قومي فإنهم لا يعملون} ، وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى : ٣٧] ، لأن مرامهم الأسمى: هداية العباد.. لما للظفر يوم المعاد.

ومن مقولة ما تقدم: (كل إنا بما فيه ينضح)!

ألا.. فاجعل في إنائك الخير من خلال ما ينضح منه.. من خيرٍ، ألم يقولوا: (ما خرج من فيك فهو فيك[2]) ، فماذا بالله- بعد هذا- تود أن يكون فيك؟، فالكلمة أنت تملكها ، فإذا أطلقتها ملكتك!

أيضاً كل إنسان إلى مراده يذهب.. ولمرامه يقصد ، وللقلوب –أيضاً- يتصيّد!، ولهذا الهدف (النبيل):

---

(١) بل.. بالغ – الشاعر- محمود الوراق، بأنّهُ ..

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب.. إلخ.

(٢) فيك الأولى : أي فمك، .. ومن قول أبي الأسود الدُّؤلي:

فاترك مُجاراة السفيه فإنها ندم وغب بعد ذاك وخيم

فإذا جريت مع السفيه كما جرى فكلاكما في جريه مذموم

وإذا عتبت على السفيه ولمته في مثل ما تأتي فأنت ظلوم

.. يصبر.. يتجاوز .. يتغاضى[1]، لماذا؟ ..، ليبلغ - كما قلنا[2] .. وأكّدنا - : مرامه.

والمصلح (الحاذق) .. هو أولى الناس فهما .. وإدراكاً للمعنى الجليل (من نعم اللّه عليكم، أن جعل حاجة الناس إليكم) وليست حاجتهم – المعنية هنا – المال، لأن هذه حاجة قريباً تتقطع بنقضاء الحياة وهمّها! لكن المقصد الأجلّ: في انقاذهم من النار.. " الهداية ".

ولهذا السبب الجليل.. الذي تقدم، تجد أن أعظم قدوة (في هذا) هم الأنبياء وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ، مما يُدلل هذا على أن (ديننا) حضاري بمعنى الكلمة، فقد أجمع العقلاء أن:

" عظمة الأمم لا تقاس بما تملكه من وسائل الحضارة المادية، تلك القشورية[3]، وإنما تُقاس بمواقفها الإنسانية من أعمال الخير والبر والفكر والثقافة، ومجد الأفراد لا يصنعه الجاه والحسب، ابداً، وإنما تصنعه أعمالهم العظيمة الهادفة إلى خير الأمة ورُقيّها في البناء الثقافي والإنساني".

.. فهذا (نوحٍ) عليه السلام تحمّل - في دعوة قومه- :﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت : ١٤]، وصالح حين آيس.. ختم – كما في الآية – مُتحسّراً عليهم:

---

(١) كما سيأتي.. ثنايا ص ٥٦ .

(٢) (نون) الجمع هذه.. مقصدي بها ليس تفخيماً لذاتي، أو لخطابي، معاذ اللّه..
لكن ذهب بي فهمي إلى أن مرادها: أن الرأي الذي تسوقه (استحساناً) منك له، يمثّل كلّ مَن نقلت عنه، وهنا تتحدث بأسلوب (الجمع)، وهذا.. -لعلّهُ- أدنى: درجات حفظ (حقوق) الآخرين!

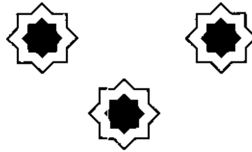
(٣) حتى.. وإن ذهب (فريق) كبير منهم إلى أنها- أي الحضارة- وكذلك، كذلك إنصرف جلّ ممن مسك أدوات الأعلام لدينا إلى ذلك، في ترويج بلغ ذروته هذا العصر- عصر (الفضائيات)، ولا أبلغ ممن نعتها بـ : (الفضائحيات)!-

﴿ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] ، وموسى وما لقي من فرعون - بما يقارب سبعين موضعاً في القرآن- ، إلخ.. من سير من اصطفاهم الله لرسالاته، ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ [الإسراء : ٧٧] أن يجدوا من أقوامهم (بخاصة الملاء) أصحاب المنافع من دوام الواقع السيء، دالٌّ على خطّ هذه السنّة:

حين تتالى الأنبياء نبي بعد نبي وكلهم يجدون ما وجد نوح عليه السلام حتى آخرهم محمد ﷺ حيث رفضوا تصديقه وقالوا: إنه ساحر، كاهن، كذاب، شاعر، مجنون وهلم جرّا ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت : ٤٣]، فسلام الله عليهم، وأخصّ من بينهم نبينا رسول الله ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم الذي خُتموا به، ولا غرو أبداً وهو القدوة العظيمة لهم ولغيرهم - وهذا درسٌ[1] بليغ.. للدعاة - (محمد) ﷺ .

- أبو زياد -

في: رمضان ١٤٣٠هـ



(١) أي.. الصبر، والإحتساب، وترديد- دائماً- قول (نوح) والأنبياء من بعده -عليهم السلام- مخاطباً العاقلة منهم: ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ [يونس : ٧٢]- ولو لم يأتك من هذا (القول) العظيم.. إلا.. عزاءً للنفس، أنك لم ترجو (على صنيعك) .. منهم: ثمن!

" اللـــين "

تصديــر :

(الكلمة) مسؤولية .. ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨] ومدلول الآية في (قول) تُطلق على أي قول ، قل أو كثر، سيءٍ أو حسن ، من قلب أبيض أو أسود ـ وإن كانت الأخيرة في عِداد النوايا التي لا يعلم كنهها إلا علاّم الغيوب.. سبحانه- لكن الشاهد أن العبد مُحاسب في الآخرة حتى على المقصد[(١)] !

و.. لإن للكلمة دلالة لا يسعفها الظرف أو الحال، ولا يشفع لها حُسن المقصد- إلا ما ندر- ، ولا يقوم مقامها أيُّ تحويرٍ لها.. بعد أن تخرج من الفم.. - وحُسبت عندئذ على قائلها- ، كما قال الجواهري:

وفيما قال من حسن وسيء.. يكثر الجدلُ

.. من هذا كان لـ (الكلمة الطيبة) – النافعة[(٢)].. على الأخص – ثمر .. في كل وقتٍ وآن، بحيث لا ينقطع نفعها مهما كان الزمان أو الحال أو الشآن.

---

(١) .. كما صح : { إنما الأعمال بالنيات..} الحديث- انظر في هامش (١) ص٤٢-

(٢) كما في قول أبي الدرداء ﷺ (من الناس من هم مفاتيح للخير مغاليق للشر)- مع ضعف وقفة على أبي الدرداء، ولكن يُذكر إستئناساً بمعناه- ،أجل.. فهناك من يُوفّق في (إصلاح ذات البين) أو غيره بكلمة طيبة.. الخ.، من ذاك ما روي عن :
(جواز) الكذب لإصلاح ذات البين، لكنّه كذب غير متجاوز، كأن تقول : فلان يذكرك بخيرٍ.. وهو لم يقل ذلك، وتقول ذلك لخصمه، لكن لا تزيد في ذلك درجة تذهب بهما لـ (مرام) آخر.

قال الله تعالى – منبها إلى (دوام نفع) هذه: الكلمة الطيبة –:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤- ٢٥] .

ولا شك أن اهتمام الإسلام بآداب التخاطب جعله يُحذّر من مغبة العنف بشقّيه العملي، واللفظي، وهذا التحذير يعود في الأصل إلى رفض ديننا للعُنف بجميع أشكاله وألوانه، فقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي ﷺ أنه قال: {مهلاً يا عائشة، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله}، فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا[1]؟ قال رسول الله ﷺ: {فقد قُلت: وعليكم} صحيح البخاري، كما وقال – عليه الصلاة والسلام – : { إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه. ولا ينزع من شيء إلا شانه } صحيح مسلم، وانطلاقاً من هذه القيمة السامية التي هي الرفق، فقد نبذ الإسلام كافة أنواع العنف [2]، فالله سبحانه نهى

---

(١) حين قالوا (السام) ، ولم يقولوا: (السلام عليكم).

(٢) منه/ لعن الآخرين، والسب والشتم، والتعيير ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[الحجرات: ١١] وما جرى مجراها، .. وقد نُهينا عن هذا الفعل لأسبابٍ ظاهرة النفع(*)، قد يكون من أهمها ما تؤول به إلى التقاطع وشحن القلوب.. الخ.

.. لكن للأسف حين تعتب على من يسلك هذا الشنيع من القول! يُجيبك : أنا لا أغتابه، بل مستعدّ أن أقول بذلك أمامه!

.. فهل معنى أن الجراءة .. في الوقاحة، أي: (حشفاء وسوء كيله) كما سيأتي ص١٤٤، مع هامش٢- هي أدنى إثم !، أو أقلّ خطيئة من الغيبة، أو النميمة؟ ، معاذ الله..

- (*) فإن المصلحة، وسدّ الذريعة، وإغلاق الباب على الشيطان .. أولى بلا شك..

مثلاً عن التنابز بالألقاب.. ، لأنه – كما علل أن .. ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات : ١١]

وهاك دلالة أُخرى: كان – عليه الصلاة والسلام- يحب الجمال وتأليف القلوب، بدءاً باسم (يثرب) الثقيل، فحوّله إلى اسمٍ جميل، فأصبح صفةً لمدن العالم.. ، قال ﷺ : {أُمرت بقرية[١] تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد} رواه البخاري، وهذا الصحابي الجليل (زيد الخير) سماه النبي ﷺ، بهذا، بدل (زيد الخيل).

كما وغيرّ ﷺ .. أسماء بعض الصحابة لما يضادّها من معاني (خيرٍ) .

بل تجد البعض .. وكأنه قد أُشرب بقلبه (تزيين عمله) السيء، فيتمادى بالقول : (فلان شكله غلط) لأن في الجملة اعتراض على خلق الله، أو (حرام[٢] عليك تفعل كذا)، وحتى جُمل ما قد يظهر أنه لا بأس بها، كـ (أدام الله أيامك) منهيٌّ عنها، لأن فيها من الاعتداء بالدعاء، وذاك أن دوام الأيام منافٍ لقوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن : ٢٦] .

أذكر تلك، لأنها (كلمات) لا تخفى.. بل تتداول بين (الشباب) غالباً!

وقد نبّه إلى خُطورة هذا إمامنا ابن عثيمين – رحمه الله- ، كما.. وبسط بكر أبو زيد –رحمه الله- في كتابه (معجم المناهي اللفظية) [٣] عن هذا "المنحى" ما يكفي.

---

(١) أي : بالهجرة إليها.
(٢) ولو من باب المبالغة، لأنه لا حُرمة لأمرٍ- كما نعلم- إلا بدليل.
(٣) انظر للمزيد – أيضاً- كتب:

.. وإن كان في بابٍ أجلّ، و (المصلحة) أشمل: نُهينا من سبّ الكافرين، بتعليل:

أن لا يسبوا اللّه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فإن في (درء) هذه المفاسد ..

في النهي عن السيء من القول والفعل .. مصلحة أكبر ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

والأشدّ ما يحصل في (مدرجات) كرة القدم بالأخصّ- والتي تحوّل أطرافاً منها إلى (مُعينٍ) على الكرهأ- فهناك ممن لا يستطيعون السيطرة على أعصابهم اثناء متابعة مباريات فريقهم المفضل فتجد المشجع من هذه النوعية يسب ويلعن ويقذف ولا يسلم من لسانه أحد حتى لاعبي فريقه المفضل ويظن بفعله هذا أنه يخلص لفريقه ولا يقبل أن يقع عليه أي ظلم وهو لا يدري أو ربما يدري أنه يظلم نفسه ويظلم غيره بمثل هذه التصرفات التي تكشف الفراغ الروحي الذي يعيشه أمثال هذا المشجع (اللعان) وإلا لما كان يجرؤ على هذا القول الذي يجعله رسولنا الكريم بمثابة (القتل) ولا حول ولا قوة إلا باللّه، ويقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه اللّه –:

(لعن المسلم لأخيه من كبائر الذنوب فالواجب الحذر منه وحفظ اللسان من هذه الجريمة الشنيعة).



أ) مخالفات متنوعة – عبد العزيز السدحان. ب) الفريد في المخالفات – أسامه عبد اللطيف.
ج) الفاظنا في الميزان – عصام العويد. د) كلمات وألفاظ منهيّ عنها – صالح الصباح.

وبعـــد :

(اللين) في اللغة: ما سهل كنهه، ليُمكن ليّه أو يسهل كسره.

وعُرفاً أو في الإصطلاح[1]: لان جانب صاحبه، وخفض الجناح ﴿للمؤمنين﴾ بخاصة، والترفّق[2] بالآخر، وكذا حُسن الخلق.. معه[3] .

ثمرته: اجتماع الناس على حب صاحبه، وامتثلوا في الغالب .. أمره، ألم يقولوا:

(من لان خطابه.. كثر أحبابه)- وهذا أمرٌ مُشاهد-

وقيل – أيضاً- في تعريفه: (الفعل،وكذا القول اللين.. هو السهل اللطيف الرقيق، ذا أدب في اللفظ.. دون فحش ولا صلف **ولا غلظة في المقال أو فظاظة[4] في الأفعال** [5]).

---

(١) .. ليُعلم أن مفردات كثيرة تعبّر عن كنهها بلا حاجة، أو (لجاجة).. في الشرح، وتقريباً لهذا، في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠] أي: ضرب مثال (المؤمنين) بأنفسهم، لأن ليس هناك من يعلو عليهم، ليقيسهم إليهم، أو بهم .. سواهم .

(٢) قال الحطيئة لعمر ﷺ : **ترفّق عليّ .. هداك المليك.**

(٣) .. لتدعوه إلى (دينك) .. من خلال تعاملك. وكم من أمّة دخلت في دين الله ﴿أَفْوَاجاً . .﴾ من هذا الباب- كما في تعامل تجار المسلمين.. مع جزر إندونيسيا (مثلاً)-
ومثال جلي/ فهذا شاب بولندي اسلم على يديه المئات في فترة وجيزة على الرغم من قلة العلم الشرعي وقرب العهد بالإسلام مما أثار انتباه أحد الفضلاء الذي التقاه في إحدى المدن الألمانية فسأله عن سر محبة الناس له مما بسّط مهمته في الدعوة فأجابه: فقط **تصرفت كمسلم!!**
لاحظ لم يقل (قلت) وإنما تصرفت.. أي: فعلت، فالفعل هو أهم دلالة على معالم ما تدعوا له.

(٤) وفي الحديث : { اللهم حسّنت خَلقي، أحسن خُلقي}.

(٥) ص٥٠٦ من كتاب تفسير لعبد الرحمن السعدي –رحمه الله- المعروف بـ : "تيسير الكريم المنان" .. لسورة طه.

وقد وردت لفظة (اللين) صراحة بخمسة مواضع في القرآن، تقدم بعضها ، .. فيما جاءت أحداها : ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾[الحشر : ٥] قيل هي النخلة[1]، فكُنّية هذه الباسقة بـ : (لينة).. دلالة تقريب لما يتوافق[2] عطائها – ثمراً- .. مع عطاء اللين، من حُسن طبع لصاحبها- وروحاً هادءة.. في التصرف والقول – والله أعلم.

أما كناية فقد جاءت بعدة ألفاظ، مثل ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة : ٨٣] و: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف : ١٠٥]، ﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾[هود : ٣٠] ، ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر : ٨٨] وقد كان ﷺ كذلك، كما قال فيه الشاعر: **أسمح منك لم تلد النساءُ.**

.. وقد نوّه الشيخ عبد العزيز الحميد - عضو المحكمة العليا- ، داعياً إلى :

---

(١) .. وقد أتت- بحديث- بُشرىً للمؤمن: { من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له **نخلة** في الجنة} ، .. أي (كأن المطلوب منك) :

كن كالنخيل في الجوّ باسقةً ترمى بحجرٍ. فتُلقي أحسن الثمر

أجل، والعجيب .. الذي يجب أن نقف عنده، قولهم المعروف بـ : (ما كل صغير محتقر)، ثم أخذ بما ضرب به المزارعون مثلاً: البطيخة على (كبر) حجمها وهي تنبت على الأرض ومن جذع ملتوٍ يكاد الصغير أن يكسره!.

وتجد أن البلح على صغره .. فهو يخرج من غصن نخله باسقه عالية.. الخ، لكن هاك- قياساً آخر- :

انظر في تباين القيمة الغذائية بين الثمرتين.

وجاء في الحديث : { رب درهم سبق ألف دينار} أي : بالبركة، لا بالكثرة!

(٢) .. كما ضرب الله مثلاً – فيما تقدم- الكلمة الطيبة ، بـ (الشجرة) الطيبة.

ثم.. وقيل (كونوا كالشجر ، تُرمى بالحجر ، فتُلقي بالثمر).

(.. القول اللين وسلامة اللسان من القول البذيء، فليس هناك شيء يأسر القلوب مثل الكلمة الطيبة والبُعد عن العنف في القول والفظاظة في الخطاب.

نعم، ليس هناك أفضل ولا أجلّ مِن إشاعة لين الجانب في القول، وذلك لإيصال ما تريد تبليغه للمخاطب) .. إلى أن يُنبّه لأحد محاسن هذا الصنيع أن :

(.. كم حالت الكلمة الطيبة واللين في الحديث من خصومة بين زوجين، وشقاق بين متخاصمين، وقطيعة بين أخوين[١]، وفي المقابل – أي: بغير اللين- .. فكم سالت دماء، وقُتلت أنفس، وشُتت أُسر، وتقاطعت أواصر أرحام..).

وإليك الأجلى: فحين اشتكى صحابي إلى رسول الله ﷺ ما يجده من أقاربه، من أنه يصلهم فيقطعونه، ويُحسن إليهم فيسيئون إليه، ويحلم عنهم فيجهلون عليه.. قال له - ﷺ - : { لئن كنت كما قُلت[٢]، فكأنما تسفهم الملّ[٣]، ولا يزال معك من الله ظهير[٤] عليهم، ما دمت على ذلك } ، والشاهد في هذا :

---

(١) من مُصلح (جذاب).. في اسلوبه، ولهذا كم أعلا ديننا من درجة القائم بـ إصلاح ذات البين، ومقام صاحبه..إلخ، بل أن عائشة – رضي الله عنها- تُقسم أنّه ما أخرجها إلى (الجهل) إلا قوله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ١١٤]، ثم.. بعد ما آلت الأمور لغير مقصدها، فقد لامت ابن عمر لعلمها عن حصافة رأيه – رضي الله عنهما- بـ (يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري) – كما جاء في سير أعلام النبلاء-

(٢) وهذا شرط من التحقق في الإدعاء(*)، كما قال أبو بكر رضي الله عنه حين قيل له: إن صاحبك- ويقصدون رسول الله ﷺ - يزعم أنه قد عُرج به إلى السماء ، قال : (أو قاله)، قالوا: نعم، فقال : (إن كان قال ذلك فقد صدق) أي : (ربط) أخذ صحة قولهم بشرط: أنه قد (قاله)..
ثم إن للاستثناء مرام أعجب، فمريم عليها السلام- قالت : ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم : ١٨] .. فهي اشترطت (العوذ بالرحمن منه).. في إستحضار التهديد بالخوف من الله (إن كان يخاف.. من الله)، وإلا فلا مردودٌ مجدٍ لهذا التعوّذ بالله.. منه!

(*) وهذا هو (الأدب الشرعي ..) فقد يكون (استجرارا) للإيقاع! أمام (المتهم)، أو ناقل النميمة .. وأضرابها-

(٣) وهو : الرماد الحار.

(٤) أي معين عليهم – وقد يُستحضر له قول الشاعر: **حسبكم هذا التفاوت بيننا** .. الخ.

أنـه ﷺ لم يـأمره أبـداً أن يقطعهـم، أو.. أمـام (عنـتهم) أن يـدع خـيراً يعملـه! .. ولا حتـى- حـين يصـلهم- أن يعاملـهم بالمثـل، فـأعظم درجـات الوصـل : هـو (الوصـل لمـن أسـأ إليـه) وهـي صـنيع الأنبيـاء : { اللـهم اغفـر لقـومي..} ، ألا فحاكهم،و ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[الأنعام : ٩٠] قال الشاعر:

إذا كنـت لا أعفـو مـن الـذنب مـن أخٍ وقلـــت أكافيـــه، فـــأين التفاضــــل؟

— كما وأنَّ { ليس الواصل بالمكافىء..} -

.. لأن ديننا يرتقي بأهله إلى ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً[1] وَلَا شُكُوراً ﴾ [الإنسان : ٩]

بل- لتعلم- أن الناس إن بخسوك واجبك أو (حقك) المستحقّ، فإن معروفك محفوظ، وأجرك (عندها) إن شاء الله مضاعف عند ربك، بل غير منقوص..

.. وقد (وعد) وعداً لا يُخلف، فقال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧]

مـرام آخـر: أنّـه لابـد مـن إفاضـة حـول هـذا ، فـإن الـبعض (قـد) يسـمع بجملـة فيستحسـنها أو تقـع موقعـاً.. لأن إنـاءهُ مـن قبـل خـاوٍ! كمقولـة: (اتقِ شـر من أحسـنت إليه) [2] .

---

(١) إلى أن يقول : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴾ [الإنسان : ١١] إلا ما أسعد من تلك بُغيته، وكل مقاصده.. — وكما في نقطة (ب) ص٤٢-

(٢) .. أستناداً على حديث (موضوع) .. حمل في طيّاته هذه الجملة!- وإن ورد عن ابن حزم (إذا أحسنت لشخص، فانتظر منه الإساءة)! لكن/ كما سيأتي ختام ٤٩ كشفاً.

فكم لقي نظم المتنبي : (**والظلم من شيم النفوس**) من رواجٍ، رغم تناقضه مع الفطرة السليمة؟!

وهنا يتبنّى[1] - للأسف- هذه الجملة.. بدون أن يقرأها أو في أبعدها.. قراءة واعية، أو حتى يتمعن في مدلولها!، وقد تكون .. كما في الحديث: { إن أحدكم ليلقي كلمة لا يُلقي لها بال، فتهوي به في النار سبعين خريفا} ، فاللهم إرحمنا من أن تُغالبنا أنفسنا أو يستزلّنا الشيطان بقول أو عمل لا يُرضيك.

وربما - حتى لا أُوقف المرمى على هذا – أنه قد سمع عن قصة شابها (لُؤم) من ناقصٍ على كريم ، فذهب به ظنّه مذهباً من أن ما حدث هو الأصل، وهو – وربي- : الأمر الشاذ[2] .

أي: إن حصل أن مُحسناً ما .. جُوزي على إحسانه بإساءة من ناقصٍ في مروءة فاعل ذلك، فإنه شذوذ عن القاعدة أو (لا يعتد بها)، ولا يقاس – أيضاً- عليها. لأنها (حالة) نادرة.

وعلى هذا فإن من يقول بهذه : الجملة، إنما هو تحذيرٌ محمول على اللئام دون الكِرام، من أهل هذه المثلبة التي نظمها المبدع - المتنبي- :

إذا أنــت أكرمــت الكــريم ملكتــه و(إن أنــت أكرمــت اللئــيم تمــردا)

---

(١) وحتى لا يُحسب عليّ كمن يُلقي الكلام على عواهنة..، فهذا أحدهم يقول عن (الغناء) مادحاً، .. ونقلاً مِن مَن تصوّر!، من كتاب (الأغاني) وما يعلم- أو يطلع على ما قاله أهل العلم عن هذا الكتاب- ، فينقل شبه حرفياً: (الغناء سر الوجود) ثم يذهب.. إعجابه بهذه الجملة مؤكّداً على قول إحدى المغنيات –نفس الشهادة .. ولم يدر المسكين، أنه تجشّم أو (أفتى) بما ليس له به .. باع!

(٢) الشاذ– كما نعلم – لا حكم له!، كيف وقد جاء فيه وعيد:
{ .. من شذّا شذ في النار} ، و.. الشاذ هنا/ في إيمائه حديث: قال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول : {ما من ثلاثة في قرية ولا بد لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية}! .. يعني بالجماعة/ الجماعة في الصلاة. رواه النسائي – والقاصية : أي المتخلفة عن القطيع-

ألا فليختر- عندها- أيكون من صفوة الكرام، أم زُمرة اللئام؟!

.. كما أنّ النفوس الكريمة تأبى عليها شيمتها أن تُقابل الإحسان بالإساءة، كيف .. وقد جُبلت - فطرةً- تلكم على حُبّ من أحسن إليها.

أيضاً تلك الجملة – للأسف- أخذت زخماً لا تستحقه: بـ (المطلق)!.

.. حين سار بها ركبان (ثلّة) تحسبهم من المثقفين!، وما لدى غالبهم سوى (ثقافة العناوين) - فحسب - ، ما حدى بالداعية (علي الدغيم) أن يُعقّب على تلكم الجملة، بمادة و.. أسوقها مع شيء من التصرف – أو الإختصار- :

" قرأت في مقابلة صحفية مع أحدهم لما سُئل عن الحكمة التي يرددها، أجاب: (اتق شر من أحسنت إليه)، وكُنت بالمصادفة قد قرأت في الزاوية نفسها مقابلة مع آخر، فأجاب – أيضاً – أن حكمته : (اتق شر من حسنت إليه) ، أبداً..

لأن الإحسان له منزلة عظيمة في الإسلام، فمن زاد عليك في الإحسان، زاد عليك في الدين " ..

ثم أورد –حفظه الله- رواية/ حين عتب (أبو بكر) ﷺ على " مسطح بن أثاثة" لأنه خاض مع أهل الإفك في أمر عائشة – رضي الله عنها –، فحلف أبو بكر ألاّ ينفع مُسطحاً بنافعة أبداً بعد ما قال في عائشة ما قال ، وكان مسطح فقيراً ليس له إلا ما يُعطيه أبو بكر – إذ كان ابن خالته- ، فلما أنزل الله قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ أي: لا يخلف ﴿أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٢٢]

قال الصديق: (بلى والله إنّا نُحب يا ربنا أن تغفر لنا)، ثم وصل مسطحاً بما كان يصله به، وقال : (والله لا أنزعه منه أبداً)، وهذا الصنيع – للعلم- :

(منازلٌ عالية).. لا يُؤمر بهِ كلّ أحدٍ، ولا تُطلب من كل أحد فالواجب على المسلم، أن يأنف بهمته إلى المعالي من المطالب، وينأ بنفسه من الخوض في غمار هذه الدنيا.. إلى مقام من سما بآماله، ويوقفها على رجاء ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [الأحزاب : ٢٩]، وليُعلم بعدها: أن الموفّق لهذا.. من وفّقه الله- جل وعلا- ، ألا فاسألوا الله التوفيق..

وموجز .. هذا : أن الإسلام يربّي أتباعه (كافّة) على:

حب الخير، ثم بذل المعروف، مع تقديم الإحسان، حتى مع من أساء إليهم، لماذا؟ ، للتالي..

أ/ لأن الله - عزّ اسمه- أمر بالأحسان فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ ، وبالمقابل[1] ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] وهو سبحانه يُحب المحسنين، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ١٩٥] وهو معهم .. يُسددهم ويعينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل : ١٢٨] ، ثم ذكر سبحانه وتعالى - ترغيباً- .. و في أكثر من آية في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ ما أعدّه للمحسنين من الثواب العظيم في الآخرة والسداد والإعانة في الدنيا ، كما في قوله:

(١) فهو –سبحانه- يأمر بعدل القول وإحسان الفعل، .. كما وينهى عن فاحش القول ومنكر الفعل.

﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج : ٣٧] ، وقـال سـبحانه: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] ، ثم..

وربط ذلك بالتقوى والصبر، فقال- على لسان نبيه يوسف عليه السلام - : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠].

ب/ .. ثم لأنه يُريد من المسلم.. أن يرتقي بإحسانه، فيطلب (وجه الله)[١].

ليستمر إحسانه، فإن من أراد بفعله الخلق، وانتظر، أو حتى تاق لأن يطّلع إلى ردة فعلهم.. فيسنقطع خيره، لأنه كالذي أسس بنيانه على شفا جُرف هارٍ..، ومثل هذا ماذا يُنتظر منه، و(ميزانه) الناس فإن مُدح لديهم استمرّ وإلا توقف"!

.. ومع هذا فالمحسن مالكٌ للقلوب – جبلّة[٢]- ، قال أبو الفتح البستي:

أحسن إلى الناس تستعبد[٣] قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

---

(١) وهذا.. بالطبع يرجع إلى (النية) ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى، ٢٠] وقوله ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] تضطرب لها القلوب، وتقف .. الأنفاس!، وفي قوله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ.. ﴾ [الحج : ٣٧]

(٢) لأن الناس (فِطرةً).. يأسرها فاعل الخير معها.

(٣) أي : تمتلك، لكن أتت – بالبيت أعلاه- مبالغة، ولأن العبادة تأتي.. من معانيها: الخدمة - وليس المقصود بها هنا: عبادة الخضوع!- ، أو التملّك (الموالي) مثلاً..

لكن أهل السنةّ والجماعة يتحرزون من استخدام هذه اللفظة - حتى وإن دلّت على ذلك- ، سدّاً لذريعة الفهم أو المقصد الأعمّ لها، كتسمية (عبد الرسول) أو (عبد الحسين).. أي: خادمه، ولا يرون ذلك ،من باب الخوف أن تذهب لمعاني أخرى، وإن تساهل فيها بعضهم (وقفاً) على هذا التعبير، كما نُسب للشافعي: (من علّمني حرفاً، كُنت له عبداً).

وهـذه – أي العمـل لِلـهِ- (منقبـة) خاصـة في ديننـا، والـذي - مـن خـلال تشريعاتُه وتوجيهاته- يربط عمل الخير بالله مباشـرة، بمعنـى أن المسلم وهـو يعمل الخير إنما يريد بـه رضـاء الله، وأمّـا النـاس فلم يكـن العمل لهم، وإنما كـانوا (جسرٍ)، أو وسيلته (فقط) لكسب الأجر..

.. وهنـا نؤكّـد – كمـا تقـدم ختـام ص٢٠- ، أن ردّة الفعـل غير معتبرة ولا محسوبة البتة، ولا في الميزان حتى! بالنسبة للمُحسن[1]، لأنّـه لا يعمل الخير لينـال مدحاً من فلان أو ثناء من علان، وإنما أقدم عليه، لأنـه يُريد بـه رضـاء الله، والفوز بالأجر منه سبحانه.

أقـول هـذا، وأُشـدّد عليـه ، لأن هنـاك صـنف عـريض.. كـبير – صِفه بما تشاء- لا يُقدّر ما تصنع له من خير (غير مباشر) ، بل ربما لا تسلم منه، حين تقدمّ له هذا الخير، في نصيحة أو تنبيهه أو وعظ، ربما تطاول عليك ب : ما دخلك أنت! .

وهنا .. -تُعزّى- بمثال.. من لم يأخذ شيئاً من حقه في الدنيا كـ (مصعب بن عمير) ﷺ ولِلهِ الحكمة في ذلك : أن يأخذ حقه يومِ القيامة وآفياً كـاملاً ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ لهود : ١٠٩]ولعل هذا.. أولى له، وبشراه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾[التوبة : ١١١] .

وأقـرب نمـوذج – لطرحنـا (هنـا)- ابـن تيمية رحمـه الله.. والـذي لم تكتحل عيناه[2] برؤية نتاج غالب ما طرح من علم، إذ لم يلق عطاؤه هذا الزخم والحماس.. إلا بعد وفاته- فأبلغها ما أبلغها من هذا الاستبشار والاحتفاء بها -رضاً وقبولا- من إجمال الأمة..

---

(١) وهذا أمر مهم، لأنه – وربما في الغالب – يغيب الشكر أو المدح على العمل، فلا يربط العبد صنيعه.. إلا بالله وحده – وهذه للعلم هي: درجة : (الإخلاص)-

(٢) إذا فعلت به دولة (الأشاعرة) حين حبسوه سنين عديدة وهمّوا بقتله، وكفّروه، وتمادوا حين: كفّروا من يقول عنه شيخ الإسلام، حتى دخل سجنه ٧٢٦هـ ولم يخرج منه إلا ميتاً ٧٢٨هـ ، رحمه الله رحمة واسعة.

لكن حتى لا يرتاب المسلم- أي : إن بلغه (الحمد) والثناء على صنيعه - فلا يأنف عندها ، أو ينكفء .. من الاستمرار ، أو يتحرّج من ذلك، فلعلّها (كرامة) أزجاها له الله.. أن : يُجمع له الحُسنيين: دنيا وآخرة، فـ ..

مـن يفعـل الخـير لا يُعـدم جوازيـه ... لا يـذهب (العُـرف) بـين الله والنـاس

ج/..، لأن (أخلاقنا) كمسلمين ليست تأبى علينا فقط، بل لا ترضا لنا غير هذا .. فهذا هو : (ديننا) [1]، ومن هذه التربية.. هذه الآداب:

ملكنـا.. ولم نكشـف قناعـاً لحُـرّةٍ ... ولم نسـتلب إلا الحديـد المسـمّرا [2]

ولو أننـا شـئنا سـوى ذاك.. أصبحت ... رقـابهمُ فينـا تبـاعُ وتُشـترى

ولكـنّ (عقيـدة) أنمتنـا إلى العُـلا ... ونهـج عـدلٍ.. أن نـروم المُحقّـرا

بل الواجب أن يكون هذا (ديدنا) لنا ، فهو – بالأصل- طبعنا..

وقد ذهب بعض السلف إلى القول : إذا أعطيت رجلاً عطيّةً ورأيت أن سلامك عليه ، يُثقل[3] عليه ، فكنّي (أي لا تُصرّح بسلامك عليه)!

فحتى السلام – هنا- يُنّبه لا إليه ، بل إلى نوعه بهذا (المقام) خاصة..، ومع ما قال القائل:

---

(١) أي : كلّنا وليس آحادنا ، على درجة واحدة- في هذا - ، قال الشاعر :

من تلق منهم، تقل لاقيت سيده ... مثل النجوم، التي يسري بها الساري

(٢) بتصرف.. - للنابغة الذبياني- ، بل إن في وصية أبو بكر لخالد بن الوليد رضي الله عنهما ، حال سفر الجيش لفتح الشام، تحمل أسمى المعاني .. من ديننا.

(٣) أي .. يُظهر له ، أو ينبّهه إلى ما اصطنعته (له..).

وإن امـــراً أهـــدى إلـــيّ هديـــة ... وذكّرنيهـــا مـــرّة .. لبخيـــل!!

وقيل (صنوان[1] متشابهان: من منح سائله ومَنَّ، أو منع نائله وظن)!، ألم ينهرنا مولانا بـ: ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]!

.. وقـالوا: (إذا اصـطنعتم صـنيعة فانسـوها، وإذا أُسـدي إلـيكم صـنيعة فاشكروها)[2]..

وتتبيةُ أجلّ، قيل: إن شئت أن تعظّم العطية في عين آخذها فتصاغرها، والعكس بالعكس.. - قال أبو الطيب:

وكـــان مـــن عـــدد إحســـانه ... كأنمـــا أفـــرط في ســـبّه-

يرفد هذا، ما جاء في السّير أن قيس بن سعدٍ مرض ولم يعده بعض قومه، فسأل عن ذلك! فقيل له عن السبب (لأنّه كان يُقرض كثيراً)، فقال: "صيحوا بالسوق: أن من كان عليه مالاً لقيس بن سعد، فقد برّأة.. فقيل -بعدها-:

انكسرت عتبته - أي: من كثرة الزّوار-

والأدنى من درجة (المنّ) حين يأتي ذكر (الصنيع) ممن لك عليه معروف لا يمكن أن يفي لك به، مثال ذلك: في قول فرعون - لموسى عليه السلام: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]، فأجابه -عندها- موسى:

(١) الصنوان: المجتمع أصله واحد - غير صنوان: المفترق أصله-

(٢) وتلك لعمري أدب الكبار: ينسى الذي له، ولا ينسى الذي عليه- فيذكر (وعده)، وينسى أو يعفو عن (وعيده)!

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ[1] ﴾ [الشعراء : ٢٢]. ، والله يعنّف قريشا بـ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾[التوبة : ١٩] أي أتقيسون هذه الصغيرة (الذرّة) جداً .. أمام أكبر أمرٍ : الإيمان بالله؟!

﴿ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [النجم : ٢٢] –.. أيّ وربي–

.. إذاً ، لا عجب أن نقرأ عن (ثلّة) كانوا يرون اصطناع المعروف فرضاً عليهم! .. وكما تقدم – في ختام ص٢٢– : أن هذه (ميزةٌ) أو مقام لا يُطالب بها كل أحد ، لأنها منازلٌ (وقفٌ) على من قيل فيهم: هِممهم بالذرى– العالية–

وهنا يجدر بنا التنويه : إلى أن (مرامي) النوايا .. لِلهِ وحده، لكنّا لا نضمن (تزكيتها) دائماً ، لأن الله سبحانه يقول.. عن أفضل البشر (بعد الانبياء) : أصحاب محمد ﷺ : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾[آل عمران : ١٥٢] إلا أننا.. ليس علينا فعل ذلك، كما (لَيْسَ عَلَيْنَا هُداهم) .. وهذا في التنبيه إلى حُسن الظن، أو سوء الظن، فإن الخليق بنا أن لا نطرق ما أختصّ به الله ، وإنما لنا (منها) الظاهر.

ثم .. وحتى بعد ما يُفسِّر ما يبدوا له ، لا يجزم، ولكن يقول : نحسبهم كذلك والله حسيبهم – أي : لا يكل الأمر كله إلى ما وصل إليه (بجهده) الضعيف–

(١) فأنت – يا فرعون– قد عبّدت كل قومي، حتى أصبحوا لك عبيداً.. فهل تذكر معروفاً.. لا يوازن أبداً مع ما صنائعُ فعلتها بكافة قومي.. حين أمسوا لديك: عبيداً!! – فكيف تذكر هذا (الصغير) لا ، بل .. تتبجح به؟!

د/ إن الإحسان في ديننا -الكامل[1] .. العظيم- قد تعدى الإنسان ليشمل الحيوانات- البهائم- بخاصة تلك التي يستخدمها[2] المسلم، وكذا التي يتطلب موقفها المساعدة، ونموذج هذا ناصعٌ في البغيّة التي {غُفر لها}! فقط: لأنها سقت كلباً، أيضاً في أدنى أمرٍ، فقد ورد في الحديث:{ أن الله غفر لرجل نحّى غصن شجرة عن الطريق..}.

وبسط هذا بالتالي/ الرفق بالخدم { من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يُعتقه – يجعله حرًّا- رواه مسلم.

والحيوان، قال ابن عمر (إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً- هدفاً- كرميه) رواه مسلم .

حتى الجمادات ، فإن سوء الاستعمال يؤدي إلى سرعة التلف، والتلف تبذير، وقد ذم المولى المبذرين بـ ﴿ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾[الإسراء:٢٧] .

هـ/ .. وهو تنبيه مهم: أن أَولى النَّاس عليك بتقديم هذه (الفضيلة) أُولاهما بصحبتك: (والديك).. بـ خاصة الأم، قال الشاعر -وقد أوجز، وأحسن- :

العيش ماض فأكرم والديك به ... والأم أولى بإكرام وإحسان
وحسبها الحمل والإرضاع تدمنه ... أمران بالفضل نالا كل إنسان

(١) كما تقدم إشارة ثنايا ٢٤ ، .. وبسطاً في (ص ١٥٧) ، وكذا مطلع ص١٦٩.
(٢) كما جاء في نص الحديث.. عن (الجمل) الذي شكا صاحبه على الرسول ﷺ .

أجل .. ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ [الإسراء : ٢٣]، أي : عدم التأفف أو التملل منهما أو من طلباتهما ، ..لأنّ حقهما مقروناً[1] بحق الخالق ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[الإسراء : ٢٣]، وأي إحسان.. يوازي برهما وملاطفتهما!

بل إنّك مهما قدّمت لا.. و لن يوازي جهدك جُزءاً مما عَمِلا لك: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء : ٢٤].

ثم أهل بيتك، والزوج بخاصة[2]، نُشدّد على هذا..

لأن هناك من ذهبوا يُنفّسون عن إحباطاتهم – الخاصة- للأسف.. في بثها أو تبعاتها لأقرب الناس إليهم كالزوج، والأبناء – ممن لا يملكون الدفاع عن أنفسهم- أقول بهذا عتباً، وتنبيهاً، لأن من حُسن الصحبة التي أرشدنا لها حبيبنا ﷺ بـ { خيركم خيركم لأهله..}.

و/ .. نعود لنثبت تنبيهنا[3] لمن ردد ما جلّينا عنه ختم ص٣٨: (اتق شر من أحسنت إليه) أنه- وهذه إشارة تحذيرٍ.. - :

---

(١) انظر في ثنايا ص٢٢ .

(٢) وقال علي بن أبي طالب ﷺ في ترتيب من لهم عليك حقوق :

عليك ببر الوالدين كليهما   وبرّ ذوي القربى ، وبرّ الأباعد

(٣) **وإذا عتبت على الصديق .. ولمته**، - كما قال الشاعر، فإن ذاك من باب حبه، أو هو من مبدأ: (صديقك من صدقك)- .

أن .. كم تعلل بك من بخيل، وكم ردك من ساذج، وكم استند إليكِ من جبان !.

(اتق شر من أحسنت إليه).. لقد تحامل قائلك على الإحسان، وحكم باللؤم على الكثيرين، وشغب[1] على المحسنين!، بل .. كيف هذا؟ والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن : ٦٠]، والفطرة السليمة النقية تثبت هذا أن الإحسان لا يَأتي إلاَ بالإحسان، كما أن الخير لا يأتي إلا بخير:

يُقرّب المُحقق ابن رجب الحنبلي- في "لطائف المعارف"- : (إن الله تعالى إذا تقبّل عمل عبدٍ وفّقه لعمل صالح بعده، وعلامة ردّه أن يعقب تلك الطاعة بمعصية.

ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها! وأحسن منها الحسنة بعد الحسنة تتلوها، وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها).

.. وما يزال المسلم مُحسناً يترقى في درجات الإحسان، يرفعه ربه ويسدده ويعينه، حتى يبلغ صاحب هذا الصنيع درجةَ ما عرّف رسول الله ﷺ الإحسان – كتزكية لصاحبه- بقوله: { أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك }..

.. وكما يجب أن نقول للمحسن أحسنتِ، فإنه أو عِوضاً من أن نقول للمسيء أسئت أن نوجّهه إلى طريق الأحسن .. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] .

بل إن هذا يدل على المعدن للحديث { الرجال معادن[2]..} ، مع (حُسن التربية):

---

(١) وإلا فقد يُنفث في وجهه هذا اللوم:

إذا محاسني اللاتي أدل بها عَدّت ذنوباً فقل لي كيف أعتذر

(٢) الجاهلية.. فيهم معادن (خير)، كما جاء في أكثر من حديث شريف –انظر ثنايا ص١٥٢- وتكملة للحديث أعلاه: { خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا } ، .. ونذكر – هنا- إحداها: قال (الجاهلي) سويد اليشكري :

كتب الرحمن (والحمد له) سعة الأخلاق فينا والضلع

ومـا كـان مـن خـير أتـوه، فإنما تـوارثـه أبـا آبـائهم قبـلُ[1]

ثم .. أو حتى وإن قال ابن حزم (إذا أحسنت إلى إنسان فانتظر منه الإساءة) فأنه يقصد تعييناً: بذاك الإنسان الحسود الحقود، كما قال تعالى ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً[2]﴾ [المعارج : ١٩- ٢٠]وهو ذاك الذي لا يريد أو تقبل نفسه – المريضة- رفعة أحد عليه .. فإن إحسانك عليه ، لا يفسّره إلا بنوع من التفضّل، ورفع لهمتك عن وضيع الدنيا.. التي لم يستطع (هو) خلاصاً من مطامعها.. بنفسه..

فإنه عندها ، قد يسيء إليك، لا لإحسانك عليه –سبب مباشر- ، لكن بسبب يضمره ولا يظهره:

تفاضلك عليه خلقاً وصنيعاً ، كأحد مناحي أو دوافع سبب إحسانك عليه! ولهذا نجد الحكيم يقول عن صنف آخر من هذه النوعية .. التي لم تستطع أن تماثل صنيعك فأخذها الخجل.. من ذاتها فقال :

وما قتل (الأحرار) كالعفو عنهم .. أي : ما أودى بهم من حال كالقتل لهم: حين تعفوا عنهم، فيصبحوا.. كالعبيد أمام إحسان صنيعك معهم، وقد أوردت :

---

(١) للجاهلي (زهير بن أبي سُلمى) .. وليس بغريب على مجتمع العرب هذه الخصلة، وقد سبقوا إلى ما هو أهم/ فقد كانوا – أي العرب- يفخرون بصيانتهم أعراض الجيران حتى في الجاهلية، يقول عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

(٢) ثم .. استثناء المولى من ذلك التعميم ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج : ٢٢] .

أن/ الترفّق بالجاني .. عتابٌ!، وعلى فرضيّة وقوع ذلك من أولئك، أين استحضار (الإخلاص)، وطلب الأجر.. الذي يُتحرّى مع الصبر - انظر (ختم) ص١١٤-

ز/ .. علّق السعدي[1] — رحمه الله- على قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ[2] ﴾ [الشورى : ٣٧] بـ : " أي قد تخلّقوا بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم وصار الحلم لهم سجيّة وحُسن الخلق لهم طبيعة .. حتى إذا أغضبهم أحد **بمقاله أو فعاله** كظموا ذلك الغضب، فلم يظهروه بل غفروه، ولم يُقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح. فترتب على هذا العفو والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيئاً كثيراً ، كما قال تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤- ٣٥] وفي المقابل قال بعدها: " ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ ﴾ أي وصل إليهم من أعدائهم ﴿ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [الشورى : ٣٩] لقوتهم وعزتهم، ولم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار".

وختم — المقصد- بـ " ذَكَر الله تعالى مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: من عدل وفضل، وظلم.

فمرتبة (العدل) أن : ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] لا زيادة ولا نقص[3]، ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [المائدة : ٤٥]— كما قال تعالى)- .

---

(١) .. في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان).. ص ٧٦٠.

(٢) بل إن أعرابياً نصح أبو بكر فأغلظ عليه، فأنكر عليه أحد من كان حاضراً صنيعه، فنهره أبو بكر، إيمائة —منه- أنه (لم يغضب،ولم يضق ذرعاً.. بما سمع) ﷺ، وعمر- خليفته- لما قيل له: اتق الله يا عمر!، أجاب: (لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها).

(٣) أي : لا يعني هذا مقابلة خطأ بسيط، بحل باتر.. بل إن هذا هو الظلم بعينه! =

ثم مرتبة (الفضل): العفو والإصلاح عن المسيء.. ولهذا قال سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[الشورى : ٤٠] يجزيه أجراً عظيماً وثواباً كثيراً، وشرط[1] الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل على أنه إذا كان الجاني **لا يليق** العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية (تقتضي)[2] عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به.

والأخيرة: مرتبة (الظلم) ذكرها سبحانه وتعالى ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى : ٤٠] أي الذين يجنون على غيرهم إبتداء، أو يقابلون الجاني بـ (أكثر) من جنايته، فالزيادة ظلم". أ . هـ.

إضافة للتفصيل أعلاه، فإن الناس درجات ومن ثم دركات[3].. في التلقي، فمنهم من يتقبّله، ويأخذ به بل يفيض.. حين يشكرك عليه، وغالباً يدعو لك ..

ومنهم من يقبله ويعمل به، ومنهم من يأخذ به ويعمل ببعضه، ومنهم من يسمعه ولا يقبله، ثم تبدأ دركاتٍ، فمنهم من يسمعه ولا يقبله وقد ينفر من قائله، ومنهم من لا يقبله وينفر من قائله، وربما فئة تُهاجم قائله.. الخ .

= لكن الذي يحدث هو في غياب رد الحق لأهله.. فينتقم المظلوم (شرّ) نقمة، وكان ديننا قد أخذ علينا أنه {إذا اشتكى أحد من الأعضاء تداعى له سائر الجسد}، وكذا إذا تظلّم أحد، يجب أن يهبّ – معه- كلّ من يستطيع.. إلى أن يعيد له مظلمته.

(١) تذكرة بهذا (الشرط) إشتراط الشيخ ابن عثيمين .. إذا ما دعى له أحد بطول العمر.. يربط دعائه أو يشترطه بـ (على عمل صالح)، من قوله ﷺ :{ خيركم من طال عمره، وحسنُ عمله }.

(٢) أي : أن العقوبة في حقه أولى، إما ليرتدع، أو أدناها: ليرتدع غيره.. بها، لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[البقرة : ١٧٩] انظر ص ١٤١-

(٣) ولك أن تصنف في ذلك درجات.. ودركات أكثر – لتباين نفوس البشر-

وهنا نذكّر إن من الجميل أن نكتب أخطاء الآخرين على صفحة من (رمال التسامح)، حتى إذا ما أتت رياح العفو محتها، والأجمل أن ننحت إحسان الآخرين على صخرة الحب، حتى إذا ما حاولت رياح الغضب محوها لم تستطع.

ح/ .. وهنا نذكر .. بل نذكّر بـ (درجاتٍ) اللين/

الفعل ودونه القول، ولحديث : { اتق النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيّبة }.

ونظم المتنبي.. المعنى- كـ (حيلةٍ) لمن لا يجد المال ليتصدّق به- فقال :

لا خيل عندك تُهديها ولا مال   فـ (ليُسعد النطق) إن لم تُسعد الحال

أي: إن لم يكن (بين يديك) شيء تقدّمه ، فـ لتتشفّع .. بـ (حُسن القول..)، وفي الحديث { الجمال.. في اللسان}.

ودون منه الإبتسامة[1].. فهي { في وجه أخيك صدقة} ، ودونها- أو آخرها - .. ما وجّه له الحبيب ﷺ ، فعن أبي ذر. قال: قال لِي النبي ﷺ: {لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق[2]}رواه مسلم – وطلق أي في المُحيا..-



(١) إذا (الابتسامة تزيد أو تقوي من جهاز المناعة(*) لدى الإنسان) د. منذر القلّوب.
بل و(تطيل) عمره، فقد ذكرت دراسة في مجلة (العلوم النفسية) كما أوردتها صحيفة الجزيرة عدد ١٣٧٠١/ أن الذين ظهروا في الصور دون ابتسامات كان المعدل الوسطي لحياتهم ٧٢.٩ سنة في حين بلغ المعدل الوسطى للذين ظهروا بابتسامات جزئية ٤٥ عاماً بينما عاش أصحاب الابتسامات العريضة ما متوسطه ٧٩.٩ عاماً.

(*) – انظر ص١١٩، هامش١-

(٢) و(الطلق) هو : خلاف: العبوس- المكفهرّ- ، قال تعالى – عن يوم القيامة ﴿يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ [الإنسان : ١٠]

(تعليل)(*) :

الناس (اليوم) لا أقول غلبت عليهم شقوة الحياة ، ولكن لنقل – إعتذاراً- :

إنه.. ومن رتمها الآتي لمرامي إصلاح شأنها ، ما أثقل عليهم وقع تبعاتها[٢]، ونجد المولى يوجّهنا حال تبعات هذه (الإفرازات) بأن .. ﴿ لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا[٣] لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[الحشر : ١٠]!

وهذا يُدلل عليه ما وقع مع ذلك الرعيل الذي تربّى على يدي المصطفى ﷺ .. وإن كان قصدهم[٤] الحق، أو الإصلاح فقط، ولا نشكّ في ذلك..

(*) عن دوافع طرحي (هذه) المادة.

(٢) وإن كان لا ينظر الجائع من الشجرة سوى الثمرة، فلا يستيقن –عندها- ذهنه للمعوقات.. دونها!

فالتعليل بظروف المرء.. تعللٌ واهٍ أدراج رياح ثوابت المرء الذي (قد) تستخف (الخفيف) منهم.. مثل هذه الأعذار.

لكن.. لابد من إيراد هذا ، ولا نقوله كـ (إعتذاراً)، أبداً، لكن من باب: ذكرٍ للعلل، والدوافع.. ، أو قُل هو: حصرٌ للأسباب!

(٣) فـ (**الغلُّ في القلبِ .. مثل الغَلِّ في العنق**) – كذا نظمها الشاعر-

وإن شئت فقل : حقداً حسداً كرهاً.. الخ بخاصة الأخير التي تحَوّل صاحبها عن العدل، لأن دافعه شكٌّ ما ، أو تهمة ، وهنا فإنه لن يعدل أبداً مع مَن يكره!

واستطراداً: قال د. صالح اللحيدان : (هذا النوع من الناس قد تمر عليه محن أو مخاوف فلا يتذكر من كان قد كرهه ، ولا يمكن أن يتلفت بل لعله يزداد كرهاً له إذا ناقشه أو لامه).

(٤) .. انظر في هامش (١) ص٣٧ ، لكن ..

وما مجاهدة الإنسان بالغة   رزقا، ولا دعة الإنسان تمنعه

- لكن لا يخفى : أن بذل السبب مطلوب بذاته، حتى وإن لم يأتِ بنتيجة، فيكفي.. أو (ولو..) من باب تقديم العذر بين يدي مولانا-

ولأن منهم من أخطأه، فإن القلب (قد) يحمل[1] على من أصابه- أي الحق- ! .. ومن هنا قال عليّ[2] في طلحة رضي الله عنهما: (يعزّ عليّ أبا محمد أن أراك مضرّجاً)، - وذاك في موقعة (الجمل) - ، ثم قال : (أسأل الله أن أكون وإياك ممن قال الله فيهم : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧])[3].. علق ابن كثير – في تاريخه (منه.. ما وقع من غير قصد، كيوم الجمل)، حتى إن الخوارج .. حين كفّروا علياً، لم يُكفّرهم، بل قال: (إخواننا بغوا علينا)!، ولكن أشهروا عليه السلاح عندها قاتلهم.

ف .. الدنيا و(مُحاكاتها).. لا شك يقع في الأنفس أحياناً منها ما يقع، ولإن وقع هذا في ذاك الجيل فإنه.. في من بعدهم – وإن كانوا صالحين- أولى !

.. وإن كان ولا ريب .. أو من الواجب قمع هوى النفس، بخاصة من أراد (الخير للناس)، وذاك في : الترفّع عن دنايا[4] الدنيا- التي هي كاسمها (دنيّة) من أن يُطمع بها- ، وقد أدرك الجلّة منهم أن :

---

(١) ولهذا فقد جاء في عدم ذكر مساوىء الحكام وتتبع أخطائهم، ما روى عن أحد الصحابة أنه قال : (والله لا أُعين على دمِ خليفة بعد عثمان)، فقيل له رحمك الله يا "أبا معبد" أَو أَعنت على دمه؟، فقال : (نعم، بذكر مساوئه).

(٢) .. والذي يرى أهل السنة.. أن الحق معه- فهو (الخليفة)(*)، وبيده الأمر والنهي، انظر (العقيدة الواسطية) لإبن تيمية، و(تاريخ الطبري) ج : ٤ ، (فتح الباري على البخاري) لابن حجر ج : ١٢ ، وأيضاً (صحيح مسلم) شرح النووي ج : ١ وغيرها –

(*) وقد قال عثمان ﷺ (إن الله ليزع بالسلطان، ما لم يضع بالقرآن) ، ومعنى يزع أي: يردع ، قال أبو تمام :

ولو لم يزعني عنك غير وازع لأعديتني بالحلم، إن العُلا تعدي

(٣) كما ذكر ابن كثير (رحمه الله) - في تاريخه-

(٤) أجل (دنايا) ، ألم يقل مولانا .. لنا : ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[الحديد : ٢٣] وأيضاً ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[الحديد : ٢٣] فما في ذاك غبطةً أبداً.

شـــبيه الشـــيء مُنجـــذبٌ إليـــه　　وشـــبيه بـــدنيانا الطغـــام!

بخاصة أولئك (ذوي الأنفس) التي لم تكن حاجتها في الدنيا.. فلم تعش للشهوات والملذات والغفلات، ولم تتمنّ الشهوات ولم تسع لها.

إن لِلـــهِ عبـــاداً فطنـــا　　طلّقـــوا الـــدنيا وخـــافوا الفتنـــا

نظـــروا فيهـــا فلمـــا علِمـــوا　　أنهـــا ليســـت لحـــي وطنـــا

جعلوهـــا لُجّـــةً واتخـــذوا　　(صـــالح الأعمـــال) فيهـــا سُـــفنا[1]

.. ولعل هذا أهمُّ سبب لبلوغ ذلك، ما فعله (الكبار) .. عقلاً ثم علماً.

إذ عزف كثير من أهل العلم- حتى فلاسفة الشرق والغرب، ممن فطنوا الدنيا وخبروها- من مخالطة الناس مالياً، أو تداخلا دنيوياً.. ليربوا بأنفسهم عن هذه (المحتقرات)، وليتفرّغوا لما هو أولى:

بذل علمهم، ومن ثمَّ ليلقوا القبول ، فلا يمكن أنَّ أحداً .. يسمو بك عن الدنيا، وفي خضمِّ تداخلها .. بينك وبينه، تظهر نفسه الضعيفة الناقصة!

كيف لا.. وقد ﴿أُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾[النساء : ١٢٨] فـ .. ينافحك عليها[2]، وهي في إدراكه: محتقرة[3] !- .. على حدّ قول أحدهم :

---

(١) أولئك (نبهوا) فـ .. اتخذوا من (صالح الأعمال) في لُجّها.. سُفناً - أي : إلى مرسى الآخرة!- بل أتتهم الدنيا صاغرةً! ..

لما شاهدت " زبيدة" – زوجة هارون الرشيد- موكب العابد الكريم" عبدالله بن المبارك" .. قالت : (هذا هو الملك الحقيقي، لا ذاك الذي يُجرّ له الناس بالسياط)!

(٢) .. وهي كما سيأتي – (ثامناً) ص ١٢٧، وما بعدها.

(٣) قال أحدهم (عظموا أنفسكم بالتغافل)- ولهذا.. فلا ينظر للمحتقرات، إلا المحتقرة نفسهُ عنده! - ، وكما سياتي.. ص١٢٧، وما بعدها.

وأعجـب منّـي كيـف أُخطـىء.. دائمـاً   على أنني مـن أعـرف النـاس بالنـاس -

.. فلا يستقيم ذلك في فهمك بين ما يطرحه، وبين ما يعاملك –هنا-   به! فكيف بالله.. يرضاه (هو) لنفسه؟!

وللتقريب – عن نتاج (هذا) العزوف- ، ما بلغ بثلّة **عنان السماء..**

فـ .. الإمام البخاري – أبو عبدالله-   اعتزل (مداخلة الخلق) [1] بيعاً وشراء.. الخ، لا خُلطة[2]، .. الخ، واكتفى ببيت ورثه يؤجّره فيصرف على معاشه منه، وذاك للتفرّغ لهذا العبء الكبير والأمر الجليل الذي بلغ به ربوته: تصحيح السنة، ما يقارب (ربع قرن) [3]، فلا عجب.. ولا كثير لأن من أراد الهدف الكبير، بذل له الكثير .. فبلغ بهذا العمل والنية (الصادقة) التي صحبته.. منه، درجة لا تجد بعدها كتاباً بعد كتاب الله يوازيه من الصحة والمقام عند المسلمين كافة،وقدره .. فبلّغه الله-   على حُسن ما قصد – أعظم الخلود /

إذ .. لا تجد اليوم حلقة علم، أو فصلاً دراسياً.. لا يُذكر به هذا الجهبذ العظيم قدراً، رحمه الله، ولعل هذا (المقام) موازٍ لصنيعه، وصدق الحق .. القائل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف : ٣٠] .

---

(١) وكذلك الإمام الشافعي قيل عنه إنه اعتزل مداخلة الخلق، ولم يعتزل معاشرتهم –وهنا فرق!-

(٢) والتي طرقتها بالنقطة (عاشراً) – في ص ١٣٨-

(٣).. وصنوه الإمام (مسلم) رحمه الله، فقد تفرّغ ما يقارب ١٥ سنة.. في وضع صحيحه – جزاهما الله عنا .. كل خير-

مشهد : قال أبي هفان .. يمدحُ (علي بن يحي):

لربيــع الزمــان في الحــول.. وقــتُ | و(ابــن يحــي) في كــل وقــت ربيــعُ
رجــل عنــده (المكــارم)[1] ســوقٌ | يشـــتري دهـــره، ونحـــن نبيـــع

ونماذج أُخرى سطّرها أعلام الأمة، مما لا أستطيع أن أحصر أسماءهم فكيف بتعداد مواقفهم..

فبالله .. منَ منّا – بعد هذا – يشتري (دهره) ، ويبني وجوده، ويمدّ على مساحة الزمان خلوده؟.. سوى نوعية أطراهم المولى بإستثناء عجيب: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر : ٤٠] ممن عَرفت (حق[2] المعرفة) الحياة وعركتها ، قدراً ومقاماً.

أخيراً.. في هذا المرام :

ليُعلم أن سلك هذا السبيل هو : في صالح صاحبه (إبتداءً)، وأن نفعه لصحته- داخلياً- ، فقد " أكدت دراسة علمية حديثة أن العفو والصفح يرتبطان بانخفاض ضغط الدم الشرياني ومستويات هرمون التوتر في الجسم، وأثبتت

---

(١) .. قال أعرابي في معنى البيت.. ليحي البرمكي:
(لولا أنك أمسكت من رمق المكارم، .. لقامت عليها المآتم)!

(٢) إحدى درجات اليقين الثلاثة- كل واحدة أعلى مما قبلها- :
علم اليقين، وهو العلم المستفاد من الخبر ثم عين اليقين وهو العلم المدرك بحاسة البصر ثم حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة الذوق والمباشرة.
.. قيل (ليس بعد حديث العين تبيان . .).
وإبراهيم عليه السلام طلب من ربه ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة : ٢٦٠]؟ .

الدارسة أن هناك ارتباطات بين العفو والتسامح والفسولوجية في الجسم، حيث أن التسامح والعفو يؤديان إلى تقليل إفراز هرمون التوتر الذي يؤدي إلى رفع ضغط الدم وهذا ينسحب على الابتسامة" د. بلير.

أمر مهم أوضح (في حث النفس على التسامح) أُشير إليه :

هناك نظام – بالعسكرية- في الجزاءات، مؤدّاه: أنه إذا أخطأ أو حتى قصّر في واجبه أحدٍ أفراده، ينزّل من رُتبته، أو تصل إلى أن تُسحب منه (الرتبة)، إن كان خطأه فادحاً!

وهذه – للعلم- لهي أشدّ عليه مما يُتصوَّر[1]!

وقد سبق إلى هذا الفعل.. ابن الجوزي في قوله: "كان لنا أصدقاء وإخوان أعتدّ بهم، فرأيت منهم الجفاء وترك شروط الصداقة والأخوّة عجائب. فأخذت أعتب، ثم انتبهت لنفسي فقلت:

وما ينفع العتاب، فإنهم إن صلحوا فللصفاء لا للعتاب، ثم فكرت، فرأيت الناس بين معارف وأصدقاء في الظاهر، ولا تصلح مقاطعتهم، إنما ينبغي أن تنقلهم من ديوان الأخوّة إلى ديوان الصداقة الظاهرة، فإن لم يصلحوا لها نقلتهم إلى جملة المعارف، ومن الغلط أن تعاتبهم –عندها- .. وجمهور الناس اليوم معارف، ويندر فيهم صديق" .. الخ .. من كتابه (صيد الخاطر).

لأن درجة (الصداقة) عزيزة، قال الشاعر، مقرباً :

وما الخيل إلا كالصديق.. قليلة ... وإن كثرت في عين من لم يجرّبُ

فهو يضرب مثال هنا بالصديق، و(ندرته).. تعزّزاً لوجوده، تعزز وجوده.. (الخل الوفي).



(١) انظر ما يأتي، ص١٣٧، مع هامش (١).

.. **نعود** لنقرر :

مما أفرز هذا الإثقال الآتي كما تقرر.. من أعباء الحياة/

حدّةً في الخطاب وشدّةً في العتاب، وربما رفعا للصوت - غير المقصود- ، ففاض بهم إلى الغضب[1] حتى على اليسير من الأمور.. مع الأسف!

و.. فيما كان سمت أهل الإسلام (الهدوء)، والتخاطب باللين والحُسنى..

آثر قوم ممن غلبت عليهم شقوة الحياة أو فاضت عليهم من رتمها المعتاد.. لغةً أُخرى، ذات (قاموس)[2] ما عُهِدت أبجدياته .. من قبل!، وإن صاروا بخاصة .. عاقلتهم: إلى الندم، لكن ولات ساعة مندم!، قال الشاعر – مُقرّباً- [3]:

دعوت على عمرو، فلمى قضى سُرِرتُ وعاشرتُ أقواماً، فبكيت على عمــرو!

.. وهي التي أَوَردت جُملة من الناس الموارد، والحديث يُنبّه بأن: { أمسك عليك هذا } – مشيراً إلى اللسان[4] - ، وكذا في قوله ﷺ: { ليس الشديد بالصرعة ،

---

(١) لا.. نتكلّم هنا عن المظاهر كالوجه العبوس (خلاف: الطلق)، والنفس الكدرة! ولا حتى عن الانفعالات كالغضب والحقد.. فلهذه أبواب أخر – غير طرحي هُنا- ، لعل الله ييسر بسط إحداها، أو كلها في عرضٍ يتبع.. بحول الله تعالى.

(٢) القاموس أي : البحر.

(٣) وقال آخر – كأنّه أجابه – بـ :

لا أراك بعــد المــوت تندبنـــي .. وفــي الحياة ما زوّدتنـــي زادي

وقال ثالث – علي الجارم - :

رُبّ مــن كنت في الحياة له حربـاً شققـت الجيـوب عنـد غيابــه..

فكثيرون .. ساجون عن (كنوز) بين ظهرانيهم، قال ابن عقيل – عن ابن باز- : و"أنني وكثيرون لأعجب كيف يهزني حديثه بعد لقائه ربه ولم ألقِ له بالاً في حياته؟!!".

(٤) ولهذا، لمّا عاد ﷺ معاذاً بن جبل رضي الله عنه في مرضه بكى وبكى الصحابة، ثم قال: { إن الله لا يعذّب بهذا- يقصد البكاء- ، لكنه يعذب بهذا- وأشار إلى اللسان- أو يرحم} - .. هذا في التفريق بين الجزع والبكاء.. على فِراق غالٍ-

لكن الشديد الذي يمسك[1] نفسه عند الغضب } إلى آخر هذه النصوص[2] التي لا أقول تدلّ فحسب، بل هي تأمر المسلم[3]..إن يُحكم عقله، ويَحكم لسانه، ويتحكّم بإنفعالاته التي تأتي غالباً.. إما من التعجّل بالقرار، أو عدم تقديم التأني. ولهذا يذهب (سبباً) د. صالح الصنيع- أستاذ علم النفس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –إلى : (أن العنف اللفظي سلوك يصدر من الفرد في مواقف رد الفعل على سلوك الآخرين، أو نتيجة تقديره لتصرفاتهم حيال ما قام به من سلوك حركي أو لفظي أو وجداني). .. ثم إن عدم التأني غالباً يورد الندامه! .. و عندها: ﴿ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود : ٩٨].

وكما أوجز عن هذا (المآل) الشاعر : **كم في المقابر من قتيل لسانه**[4]؟!

إن **العجلة**، أو سوء الظنِّ أو أخذ الخبر (النبأ) من مشكوك في نيّته[5]، كما قال تعالى بـ ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ[1] بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[2] [الحجرات : ٦] فأي تصرّف يسبق التبيّن: مذموم!

---

(١) أي أطرها على الخير / فعلاً وقولاً ، وذاك بعد تعويدها – كما سيأتي في (عاشراً) ص١٢٥-

(٢) كما سيأتي.. في (خامساً) .

(٣) فالمسلم – بحق- : { .. مَن سلم المسلمون من لسانه ويده} – كذا جاء.. في تعريف الحديث له .

(٤) والمتنبي أنصع مثال، .. وقد قال – بعد ما (هجى) أحدهم فاستعدى عليه من قتله – بـ :

(أنا) الذي إجتلب المنية طرفة .. فمن المطالب والقتيل القاتلُ؟!

فـ.. سبحان الله ، كأنّه استقراء مآله ومصيره (مُسبقاً) ، وذلك.. لما اجترحه لسانه!.

(٥) .. ففي هذا أدبٌ جليل/ أن لا تُعلّق على قول، أو تأخذ موقفاً ما.. حتى تتأكد من أمانة ناقله، و(وقوع) الأمر بالفعل.

- كما تقدم هامش (٢) ص٣٧-

فلا تتخذ قراراً، أو تتعجّل[٣] فعلاً .. يوردك أسوأ الموارد!.

لأنـه- بالأصـل- لا ينبغـي للعاقـل الجيّـد العقـل.. المـتين الـرأي، أن يصـدّق تلقائياً كل ما يسمع، بل يتروّى، ويستيقن من صدق مـا وصـل إلى علمـه، أو نبـأ إلى مسمعه.

أي : يوقن حين يوافق القول المنقول إليه (حدوثه) بالفعل.

ثم (هـبّ) - مـن بـاب تحـريك العقـول – أن قيـل فيـك ذلـك، فـأين منـك توجيـه عمر ﷺ: (ابحث لأخيك عن سبعين عذراً).

كما أيضاً لا يحبّذ لـه أن يتخـذ أي قـرار.. حتـى ينظـر ويـوازن ويقـيس[٤]، فـإن بعض حالات الندم لا علاج لها، حتى وإن سلى –المظيوم- ونسي وتناسى، فالأسى.. قلّ ما يُنتسى، ثم .. إن :

(الرأي[٥]، قبل شجاعة الشجعان)..

---

(١) لأن هناك حصانة عن المسلمين، وهي : طلب (البينة)، على كلّ مُدّعي.. قبل أي تصرّف.
.. حتى في القانون الوضعي: (الشك يُفسّر لصالح المتهم).

(٢) .. والتعليل : خوفاً من ... ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ﴾ وبعدها ﴿ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات : ٦ ، ولات حين مندم!!

(٣) لأن.. مما نُعتت به (الجاهلية) سبباً، أنها كما قال شاعرها:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   على ما يقول.. في النائبات برهان

(٤) للقاعدة العقلية : (قيسوا قبل أن تغيصوا).

(٥) قيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم! قال (نحن ألف، وفينا حازم واحد، فكنّا نشاوره ونطيعه، فصرنا ألف حازم) – ولا غرو عندها :

أحزمُ ما يكون الدهرُ يوماً   إذا أعيا المُشاور، والمُشير

أي: أعجزك وجود من تشاوره!-

بل .. إن ما جاء بالحديث من (الوعيد)[1] ما يزجر .. وينهر، قال رسول الله ﷺ لمعاذ ﷺ: { يا معاذ، أتدري ما رأس الإسلام وعاموده، وذروة سنامه}؟ قال لا، قال: { رأس الأمر الإسلام، وعامودهِ الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله}، ثم قال: { ألا أُخبرك بِمِلاك[2] ذلك كله}، قلت: بلى يا رسول الله، قال .. فأخذ بلسان نفسه[3]، وقال: { كفّ عليك هذا}، قلت: يا رسول الله: وإنّا لمأخذون بما نتكلم به؟ قال: { ثكلتك أمك[4] يا معاذ!، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد السنتهم}!

أي: ما الذي جاء بالمصائب و.. الخ، إلا ما يتفوهون بألسنتهم، فـ ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، فالمسلم ليس اسماً أو شكلاً، لكنه صفة وفعل، فهو لا يؤذي أحداً –أي أحد[5]– بكلام بذيء.

---

(١) وهو خلاف (الوعد) بالجنة، فإن الوعيد هو: التهديد– بالنار–

(٢) أي: جامع فضائل كل ما حدّثتك عنه.

(٣) يالله على هذا التعليم التطبيقيّ العظيم، حين ضرب ﷺ المثال بعظمة فمهِ الكريمة..
فأي مُعلمٍ أنت يا رسول الله– عليك من ربنا أفضل صلاة وأتم تسليم–

(٤) أي: فقدتك أمك.
.. والعرب تقولها(*) من باب المبالغة، .. بمعنى أن من لا يعلم هذه المعلومة.. البديهيّة، أو (البسيطة) حاله كأن (أمه) فقدته!– وهو (حي)–
دلالة هذا .. حين سأل عمر ﷺ عمرو بن معد يكرب فأجابه جواباً.. ختمه بـ: (ثكلتك أمك)، قال عمر: بل أمّك أنت!

(٥) ومن التعامل: الإزدراء وهو (الاحتقار) للشخص، فعلى لسان نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾[هود: ٣١]، والامتعاض من ذكره، أوالتأفف حين إيراد اسمه أو عرض ما قدّمه، كما قال بعض المنافقين حين قدّم أحد المسلمين– على مقدار ما يستطيع– بضع دراهم بـ (إن الله غني عن هذا) أو بما معناه! أو حتى يلمزوا إن لم يُعطوا! .. قال تعالى عن بعضهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾[التوبة: ٥٨]، أي: وقف قياسهم على مصلحتهم، لا مصلحة الأمة.

وفي الحديث الذي رواه ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان[1]، ولا الفاحش البذيء}، فـ { قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق}!، أيضاً: { إن شرار أُمرائكم من تعلنونهم ويلعنونكم}.. و { لا ضرر ولا ضِرار}، ونصوص كثيرة.. في هذا السحاء.

قال النووي – رحمه الله- : "ومما يُنهى عنه الفُحش، وبذاءة اللسان، والأحاديث الصحيحة فيه كثيرة ومعروفة".

لكن (الواجب) هنا.. إن دعت الضرورة، إلى ذلك، في (التعريض) أو التكنّي بما حدث، أو حتى التبهيم، كـ { ما بال أقوام}.

والمقصد.. (معناه: عدم التعبير عن الأمور المستقحبة بعبارة صريحة، وإن كانت صحيحة، والمتكلم بها صادقاً.

وينبغي أن يستعمل في ذلك الكنايات[2]، ويعبّر عنها بعبارة جميلة يفهم بها الغرض) - كذا علّق الداعية د. محمد بن إبراهيم الحمد-

وهذا قدوتنا ﷺ يوجز بالحديث التالي.. التعامل بمثل حالٍ كهذا :

---

(١) فاللعن هو : (الطرد من رحمة الله)- ومن يجروء أن يطرد أحداً من ذلك؟، وفي الحديث : { لا تصحبنا دابة ملعونة}!- انظر مطلع ص٣٤-

(٢) وهي : التلميح لا التصريح- فـ (الحرّ تكفيه الإشارة) – قال أحمد عبيد :

رُب حرف أغناك عن صفحــات   رب رمزٍ كفاك عن تبيـــان

وأوجز آخر، حين أجاد :

(لغة) الحياة .. وإن فهمنا لفظها   مشحونـة بالرمز والإيحـاء –

.. ثم: لا أريد أن أشقّ عن هذه المادة إذ لا يتسع المقام إلا لنبذة موجزة.

عن عروة بن الزبير: أن عائشة رضي الله عنها أخبرته قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: {ائذنوا له، بئس أخو العشيرة، أو ابن العشيرة}. فلما دخل.

(آلان له الكلام)، قلت: يا رسول الله، قلت الذي قلت، ثم ألنت له الكلام؟

قال : {أي عائشة، إن شر الناس من تركه الناس، أو ودعه الناس، اتقاء فحشه}[1] أخرجه البخاري..

ولا غرابة البته، فقد كان - ﷺ- لا يزهد بحسن أخلاقه[2] مع من قلَّ إيمانه، وساءت أخلاقه.. حلماً، ورفقاً.. منه بهم- عليه الصلاة والسلام- .. فكانت (سيرته) [3]وحياته وسمعته بجميل طبعه وحلمه ، ورفقه قد ملأت قلب القريب، والبعيد، والصالح، والطالح، رضىً وقبولاً- مبرأ لا عيب فيه:

مـــا كـــان أحـــوج ذا الكمـــال   إلى عيـــبٍ يوقيـــه مـــن العـــين-

هذا، فيما بعضهم.. يرمي الكلام ويقذف بالألفاظ، ويضعك أمام من حولك بموقف تتقاطر بهِ.. حياءً أمام عباد الله بما يقوله، فأنّى لك أن تُنازله .. أو تسقط في سحيقٍ من (رذائل) ما سكب ماء وجههِ لأجله!

فلا تملك عندها إلا.. السكوت[4]! ، أو (التغابي) عما يصنعه هذا بـ ..! .. قال أبو تمام :

لـــيس الغـــبي بســـيد في قومـــه   لكـــنَّ ســـيد القـــوم المُتغـــابي

(١) فقوله : (فحشه) : الفحش : كل قول أو فعل ينفّر الآخرين إما لقبحه ورداءته، أو فظاظته.
و: (اتقاء فحشه) : أي : بسبب سوء أخلاقه، وتعامله، وقسوته، وفظاظته في أقواله، وأفعاله.
(٢) فالإيمان لدى أهل الإسلام..، ثلاث درجات: عقيدة، فمنهج ، فأخلاق.
(٣) .. والتي سبقت دعوته ﷺ .. فهو لدى قومه- وقبل الرسالة- : الأمين الصادق .. الخ
- انظر كتابي (منهل من السيرة) ص ٣٩ وما بعدها-
(٤) كما سيأتي .. ص١٣٨ .

.. ، أو (غضّ الطرف) :

إذا بليـت بشـخص لا خـلاق لـه فكـن كأنـك لم تسـمع ولم يقـل

ولا تنزل إلى دركه – من .. أن تُعاتبه- ، بخاصة مع صنف كهذا، ويكفي ما جاء بمثلهم الحديث- .. أعلاه- ، لكن ..

الحلّ – أو الحيلة- إزاء صنيع أولئك؟

يكون.. بخاصّة إذا أحسّ منه (وعياً)، أو إنصاتاً..، إلى ما ذهب بعض الحُكماء :

(إذا رأيت من أخيك عيباً ، فإن كتمته عنه خنته، وإن قُلته لغيره أغتبته، وإن واجهته به أوحشته!)، فقيل له كيف نصنع؟

قال : (تكنّي عنه، وتعرِّض به، وتجعله في جملة[1] الحديث).

و(التعريض) جاءت به نصوصٌ، أجلاها :

قوله تعالى عن الرسول ﷺ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾[التحريم : ٣] لحفصة بنت عمر رضي الله عنهما، والمراد : أن تورد له طرفاً من الحديث، ليعلم أنك به تعلم ، فيقدّم لك عندها.. إما عذره[2]، أو مبراراته لما حدث!

و(باب) أولى: أن الرضا وتغليب (لغة) التسامح والنقاء والطهارة والقلب السمح، والنفس اللينة السهلة، صاحبُ هذا غالباً لا يقع إلى ما يحتاج بعده إلى الاعتذار،لأن

---

(١) أي : تضمنياً في العتب، أو (الإدماج)، كتب عمرو بن سعدة إلى الخليفة: (كتبت كتابي إلى أمير المؤمنين أعزه الله ومن قبلي من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن حال ما يكون عليه طاعة جُند تأخرت أرزاقهم، واختلت أحوالهم) – كتاب العمدة ٣٩/٢-

(٢) .. وقد تقدم قول عمر ﷺ : (ابحث لأخيك عن سبعين عذر) فقد يكون قالها بغضب ، أو هو ضائق ذرعه من أمر ما ، أو (همٌ) بـ نفسه من ألم ما ، فـ: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور : ٦١] ثم.. كن من الضعيف.. والفاضل.. والمريض على حذر لا تسيء إلى واحد منهم. أو تحيف.. أو تكره.. أو تتبذ.

الأناة[1] والتريّث يغالبان تصرفاته ويغلبا إقدامه، فيما يُضطرّ الآخر إلى إهانة نفسه في طلب المسامحة[2] عما بدر منه ..

كما أن صاحب هذه الخصال والسجية التي تسمو عليه، هو: (محبوب) حتى لدى أولئك الذين لا يتفقون معه على هذه المحامد التي به، فهو غالباً ممدوح منهم، مقبول لديهم، مُقرّب عندهم .. ولو لم يأته إلا (شهادة) أولئك لكفاه.. منقبةً .

كما.. وهناك ما يسمّى: المؤاربة ، كما في نص { إقطع لسانه عني }يقصد (ذو الحويصره) أي: كفّ لومه عنّي، فذهب عليّ ﷺ به على إلى إبل الصدقة.. وأعطاها منها حتى رضي!

وهذا كلّه إن كان المعاتب حساس قليل التقبّل، .. أما إذا أحسّ منه أنه ممن يقبل.. ولا ينفر، فيصرّح له، لكن بإسرار لقول الشافعي :

تعمــــدني بنصــــحك في انفـــــراد وجنــــبني النصـــيحة في الجماعـــــة

ثم.. بيّن له (مقصده..) [3]:

فـــإن النُصـــح بـــين النـــاس نـــوعٌ مـــن التـــوبيخ، لا أرضـــى اســـتماعه

---

(١) وخلاف هذا، هو : العجلة- وهي طلب الشيء قبل آوانه، وقد ذكرت العجلة مذمومة في كل المواضع في القرآن سوى موضع واحد ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[البقرة : ٢٠٣] وعند أحمد وابن ماجة حديث { فلا تتكلم بكلام تعتذر منه غداً}.
ولحديث يُوجز :
{ كل أمر مطلوب التأني به سوى أمور الآخره}، و ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ [آل عمران : ١٣٣].

(٢) كما سيأتي .. لاحقاً.

(٣) أي يكون القصد (التطهير، لا التشهير) ، فلا يُنكر المنكر بمنكر أكبر منه – هكذا القاعدة الشرعية- ، وفي ذاك كلّه: حياة للظمائر، وأنس للسرائر، وأبقى للذخائر.

والمقصد – بعد هذا..- : أن ديننا الإسلام يحدد لنا (كل مواقف حياتنا)[1]، ويرشدنا إلى المسالك الصحيحة حتى بالحديث مع غيرنا.

فما لدى أهل الإسلام سوى (صروح الرحمة، ودواوين التوبة) كذا.. أوجز د. عائض القرني – حفظه الله- .

فـ يا من يئنُّ من (وطأة) الحياة ، أو ضيق ذات يد المعاش[2]:

لا تجعل في وجه (أخيك) – في الدين.. - مساحةً لـ : بوح ألمك، أو إنعكاسها –عليك!- في تعاملك معه (كـ) موضعٌ لبثّك وتنفيسك أو (...)، ليحمل مع أحماله:

ثقل أعباءك- دون ذنبٍ منه- : بل .. إن تأنيبنا هنا (أشدّ) أنّ:

ما جُرمه من أن يُحرم منك أدنى درجات[3] التعامل؟

.. وأختم بما أهداه – لي – أخي (إبراهيم) حفظه الله :

" من أعظم نعم الله تعالى على العبد المسلم أن يجعل صدره سليماً من الشحناء والبغضاء، نقياً من الغل والحسد، صافياً من الغدر والخيانة، معافى من الضغينة والحقد، لا يطوي في قلبه إلا المحبة والإشفاق على المسلمين".



(١) وكما قال أبو الدرداء – انظر في هـ (١) ص١٦٩-

(٢) .. أعني (قلّة) الوظائف اليوم – ما تعارف عليها بـ (البطالة)!-

(٣) التي مرت معنا في ص٥٢-

أسبابٌ (*).. – لامتلاك هذه الخصلة :

تمهيد/ مع أني .. لا أحسب أني بحاجة(٢) إلى ذكر أو إعادة – مع ما تقدم- :

محاسن اللين، وأثره على صاحبه، بل قل (ثماره) إبتداءً عليه..

لا لأنها – أي – تلك المحاسن – في خُلدنا مستقرة!، بل لأنها من (تحصيل حاصل) (٣) ، فيما قد لا يُحسب ذكرها إلا إستجراراً لمعارف ثابتة، معروفة، بل قل (مشهورة).

لكن ، أو حتى لا نكون من فئةٍ تقفز إما في طرح الحل إلى ما لا يمكن، وقد قيل (إذا أردت أن تطاع فاطلب المستطاع)، أو عرض المشكلة.. دون التطرق - ولو باليسير - إلى أسبابها!، التي ربما يكون العلاج كامنٌ فيها، أو في (إزالتها).

.. وفي هذين أو أحدهما (معضلٌ) غالباً.. في تقبّل الحل، أو حتى عائق عن إمكانية سلوكه!

ولتجاوز هاتين، فإن الأُولى .. أَدليتُ - محاولة- لها ، كما سيأتي، في فصل: (ماء) هذا الكتاب .. والأخرى ما أُمهّد له بالقول - وبالله المستعان- :

(*) قال تعالى ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾الحج : ١٥) السبب : ما توصل به – إلى الوصول به ، .. من حبل وسلم .. وطريق- ، قال الشاعر :

حبسوا الأشيـاء عـن أسبابهـا   فــإذا الأشياء من غـير سبـب

(٢) .. فمن سيذكر لك منافع الغذاء – للجسد- ، سوى من أراد اللجاجة!

(٣) .. فلا يُفسّر الماءُ بالماءِ.. أبداً!

لإن كُنّـا (وهـذا مـن رتم عهـد السـرعة) نُورد النتـائج بعيـداً عـن الأسـباب والمسببات ، أو في الخوض في المسائل القشرية في منأً عن الألباب ،بل أحياناً نُلاجّ بـ الفروع دون الأصول.

وحتى لا ينحصـر التركيـز في الحـديث حول هـذه (الظـاهرة) – إن لم أتمـادى بالتسمية- دون الحديث عن محاضنها ، أو قُل (مخاضها)..

فإني سوف **أُورد ما يعين**، ولو من باب (التذكير[1])الذي كما قال عزّ اسمه أنّ ﴿الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات : ٥٥] بأسبابٍ عسـاها تُعـين علـى حـوز .. وامـتلاك هـذه الصّفة.. بل لإقامـة الحجـة أيضـاً ، فـ ﴿لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام : ١٤٩] ، وللحـديث: {أيّما عبدٍ جاءته موعظة من ربه ، فهي نعمة[2] من الله عليه}.

.. فالموعظة والتذكير هما بمقصدٍ واحد- أو قل إن التذكير هـو: الـوعظ- فالله حين وصف حبيبه ﷺ ،قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الفتح: ٨] .

---

(١) والتذكير – من إحسانه- إزالة الفتور الذي.. قد يُوهن بالهمّة ، أو تثبط به الذات.. حال الغفلة ، كذلك يُجلّي عن الران.. الذي يغلّف القلب ، قال تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين : ١٤]

- و.. كما سيأتي إيضاح له .. في معرض (أولاً) ص١٠١-

(٢) .. وقد تأتيه الموعظة بهلاك آخر ، وهذه منّة كُبرى عليه ، قال التابعي الجليل " الحسن البصري" –رحمه الله- : (السعيد من وعِظ بغيره)- وقالوا : إنج سعد ، فقد هلك سعيد- .

و(يوعظ) –هنا- لتفيء نفسهُ إلى الحق وتتذكّر عندها ، كما قال تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾[مريم : ٢٨] .

أيضاً: حتى لا يكون كلامنا نظرياً.. إذ ما أسهل أن تقول- أو تأمر- بـ: (كونوا..)! ، وكذلك الحال مع الكلام النظري.. أو تنميقه لسلب العقل أو اللّب .. لا يكفي، بل لا يُقنع، لكن بالبراهين ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، أو بالوقائع- وما تُثبته- ، أو بالترغيب بـ ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] أو بالمقارنات – بالآخر، أو النظير – فهذه ليست (كل) لكنّها المُحفّزات الكُبرى لتغيير السلوك.

لا .. لأنه (ما أثقل أن يتحول الأمر بالشيء إلى أن تفعله) فقط، بل الأولى: أنْ كيف.. تحوّله؟!، لأن النظرية شيء، ومعطيات تطبيقها. – كما نعلم- في أكثر الأحايين يكون شيء آخر.

إذ من السهولة بمكان أن تقول –ناصحاً- :

يا فلان، ليّن خطابك، أو جمّل عباراتك.. الخ، لكنَّ مكمن التطبيق لا يأتي بهذا اليسر الذي قد تظن، إنما تمدّه بأسبابٍ يستطيع بها المقابل أو (تُعينه)[1] أن يتحكم بانفعلاته وألفاظه، ويُمسك – من قبل- ذاته .. من التجاوز، وهذا هو (مربط الفرس) كما يُقال ..

---

(١) كما في نصحه ﷺ لمن أراد أن يكون رفيق المصطفى بالجنة:

{ أعنّي على نفسك بكثرة السجود} ، أولاً: دليل ظاهر أن ما عند رسولنا صكوك غفران.. الخ وحاشاه ﷺ من مثلبةٍ كهذه، ثانياً أنه بهذا التوجيه، قد دلّه على السبب الذي يبلّغه أمنيته، وفي هذا (درس).. حتى لا يستسهل بلوغ مأربه.. بلا فعل!- ثم إن هذا أجدى له من الدعاء له، فحسب-

أي : أن تعطيه الأدوات[1]. التي بها أو من خلالها يكتسب هذه الفضيلة.

.. وليست بالغةً بـ (الأمر) أبداً ، فإن كلاً يستطيع أن يأمر أو يسدي لك عن فضائل، بل هناك من أُعطي ناصية في البيان[2] فـ.. ينظّر للفضائل بمنطقٍ يأخذ بمجامعك، لكن هل يحوّل تنظيره إلى واقعٍ ملموس، أو يستطيع – وهذا هو المحكّ- فعل ذلك؟، إمّا من خلال التعامل (التطبيق)، أو التعليم! ..

حتى لتجد هناك من يُلقي بالحِكم ، وبجمالٍ أخّاذ من النُّصح، لكن في (سلوكه) تردد بذاتك: شتان بين قوله ، وبين صنيعه!، كما هجى ذلك الشاعر:

لشتان بين اليزيدين بالسخاء؟

بل أعظم دليل على صفوة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام- ، أنهم : (قالوا ما فعلوا ، وفعلوا ما قالوا)، وعدم توافق القول مع الفعل (له) ربما يكون المعضل الأول عن قبول – .. أو/ اتباع- النصيحة، وهذا (أمرٌ) مهم .. و لابدّ من بسطه:

---

(١) قال د خالد المنيف : (النقد البناء لابد أن يصاحب نية طيبة، وتقديم حلول).
مثلاً لو قلت لطفلك هذا خطأ .. لنظر إليك مشدوداً- فطرياً- ينتظر منك الإكمال..
أي: (ما الأصح) في هذا؟، إن كانت طريقتي خائطة وحبيبنا ﷺ يعمد إلى ذلك في كافة توجيهاته للأمة ، خُذ مثلاً: { يا معشر الشباب من استطاع منكم البائه فليتزوج}.
ومن قبل القرآن نهجه استباق الخطاء.. بالأصوب! قال تعالى ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] –أي: قدم العِوض، بدلاً عن النهي.. والنهي فقط!-
(٢) حتى قالوا تجاوزاً: (إن الشِّعْر الحقيقي، هو ذاك الذي يأطر البخيل على السخاء، ويدفع الجبان للقتال، و.. الخ).

.. أنّ أهم عائق وأكبره[1].. عن قبول ما تقول – وإن كان كلّه إحسان- هو : بُعد الشُّقة بين ما تقول وبين ما يصدر منك من فعل، بل إن بين الحث على الفعل و الفعل بذاته يتوقف –غالباً- تقبل المتلقي للنصيحة[2]، !

هذا.. عدي الوعيد الذي يلحق فاعله، أو وقوعه[3] تحت طائلة هذا التقريع: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٤] !

قال أبو الأسود الدؤلي :

يـــا أيهـــا الرجـــل المعلّـــم غـــيره　　　هـــلاّ لنفســـك كـــان ذا التعلـــيم

- أي: مَن الأولى في التعليم؟، كيف ينفع أو (يبلغ) ما لديك من علم، وأنت لا تعمل به!!-

قال ابن المقفع : " من نصّب نفسه للناس إماماً في الدين، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه، وتقويمها في السيرة والرأي واللفظ والأخدان، فيكون **تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه**.. " الخ.

.. لإنّه – أي: المتلقي- إما أنّه يراها تلك المحاسن التي تحثّ إليها (متصوّرة) بك، فيأخذها، فهو.. يتعلّم مما يراه منك أكثر مما يتعلّم مما يسمعه منك.

ورسولنا ﷺ كان (قدوة) في الفعل، قبل القول، كما في حادثة (اليهودي) الذي جذبه ﷺ من إزاره حتى علّم في رقبته الشريفة.. قائلاً:

---

(١) .. من قوله تعالى ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾ [النور : ١١] أي تعظّم –لديه- الأمر.. في هذا.

(٢) قال الداعية حسن البنا لتلاميذه: (كونوا عبادا قبل أن تكونوا قادة، ترتقي بكم العبادة إلى حُسن القيادة).

(٣) من تعبير قرآني عظيم: ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ [الأعراف : ٧١]

(يا محمد أعطني حقي، فإنكم يا آل عبد المطلب قوم مُطلّ) فالتفت إليه الرسول مُتبسِّماً..

ولذا يعلّق على (مقصدي) هذا- مصطفى المنفلوطي –رحمه الله- بـ :

(الخُلق هو أداء الواجب لذاته بقطع النظر عما يترتب عليه من النتائج، فمن أراد أن يُعلِّم الناس مكارم الأخلاق فليحيي ضمائرهم.. وليبث في نفوسهم الشعور بحب الفضيلة والنفور من الرذيلة بأي وسيلة شاء ومن أي طريق أراد..)، ثم يُثبت مقصدي:

(فليست الفضيلة **طائفة من المحفوظات** تُحشى بها الأذهان، بل ملكات تصدر عنها آثارها –عملاً- .. صدور الشعاع عن الكوكب، والأريج عن الزهر).

أمدّ رافد: أن يكون القول .. النصح .. التنبيه إلخ، بالحسنى، فإن النفوس تأبى، أو لا تقبل (التعنيف)، ولا تتقبّله!، يقول سبحانه ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ[1] بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل : ١٢٥] لا في النزر، أو التشهير.

نخلص من هذا، إلى أن: أوّل ثمار النصح آت بالنموذج[2] (العمل) بما تنصحه به، ثم بالتعامل به أجدى، بل أكبر وأوضح بصمة تدعها بقلب المتلقي.

النقطة الأخيرة.. في هذا المقصد: هي (الوعي) ، كما قال تعالى ﴿تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٢] ، فإننا وهذا في الغالب : (نسمع) [3] ، ولا نستمع .. فنحسن –عندها- الفهم ونعي المراد!

---

(١) وهذا .. في أهم أمر (العقيدة)، فإنه فيما دونه – من الفضائل – أولى.

(٢) انظر (تقريب) لهذا، في هامش (٣) ص٣٥.

(٣) كما (مرّ) معنا إلى الفرق بين سماع الشيء واستماعه – ص٢٣-

أو (نقف) عند الإشارة، ولا نذهب للمشار إليه، قال تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق : ٥] فـ (يسلبنا) جمال البيان، ولا نتدبّر[1] في الذهاب إلى وعي : ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ !

ثـــم..

.. أو حتى لا يكون هذا الطرح (دعوة) مجرّدةً لهذا، أو أنّها .. أو في أبعادها إستحالةً بالتطبيق[2]!، أو حتى إيرادها.. (ذكر) أو (تذكير) بإحدى سمات ديننا فقط[3]، وإنما القصد منها **التفعيل لها**، لتكون من أحد صفاتنا.

فإني أضع – من بعض إدراك، وإطّلاع .. أو (قُل) خِبرة- : ما أحسبه معين (بإذن الله) إلى بلوغ أو حوز هذه الفضيلة.

.. فالمؤثرات الأغلب على الإنسان – أو في تكوينه – هي :

العلم، القدرات، الخبرة، أو هي ثلاث عناصر يرتكي على إحداها كل من يُقدم على أمرٍ دون غيره، فكم غرّ فاتل العضلات يظن أن القوةّ – وحدها- كفيلة بأن يصنع ما شاء! فيما تتقدم الخبرة العلم، بحكم المُحاكاة..

لأن العلم يبقى تنظيراً ، فصاحب الخبرة أولى ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر : ١٤]

و.. هناك أمرين مهمين، قبل أن تلوم أو تعاتب!

---

(١) وكم أمرنا بـ (تدبّر) آيات الله، حتى لا يذهب فهمنا وجهدنا إلى إقامة الحروف – منه- .. وتضييع الحدود!!

(٢) ولا أريد أن أغرق في هذه النقطة فيذهب تعبيري إلى تفلسف فيها- فأُبهم من حيث أردت أن أوضح!-

(٣) فـ فضائل الدين، لم تأتِ لتملأ (أرشيف) عقولنا..؟، بقدر ما أتت لـ (التطبيق).

الأول : يجب التنبيه إلى (قدرات) من تعاتب.

والثاني : في استقصاء مدارك أو (معارف) الشخص المعاتب.

.. والمسألة هنا (في منهجية) إنتاجية[1] النصح، .. التي تقوم قوائمها على وضع نقاط يستطيع كلّ منّا أخذها، إما جُملة واحدة، أو بالتدرج.. ما يأتي –عندها- اكتسابها.

.. فيرتقي بذاته.. كل ما تجاوز (درجة)، على أن لا يتعجّل على قُدراته، حتى ولو أخذت تلك الدرجة منه وقتاً، لكن يحاول على الأقل.. بما يرى أنه يغلب نفسه وهواه، ثم يأطر هذه (النفس).. في أن تكسب ما هو خيرٌ لها .. لـ دنياها وفي معادها، بالأخصّ ﴿فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

.. و(هذه) معقودة - دُررها- بالدواعم التالية ..

قال تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص: ١٠]

.. لا شك أن هناك أسباباً.. حريٌّ بنا تلمّسها لاكتساب هذه الخصلة – اللين –.

لعل من أهمها:

١- الإخلاص.. – بشقيه : القصد، والعمل-

(١) أي أن يكون النصح مُثمراً مع من تُناصح.

٢- السموّ بالنفس[١] - .. إلى العُلا-

٣- الصبر - .. وما أدراك[٢] (الصبر)-

٤- التسليم أن النقص في (البشر) جبلّةٌ، - فهذا يخفف عليك ثقل ما تجده-

٥- حب الخير للغير- .. في الإيثار[٣]-

٦- (الوفاء) — في حفظ (حق) من لهم عليك يد.. سابقة..

٧- نسيان الماضي- .. لكي تصفو النفس[٤]-

٨- التعوّد - .. أي تعويد النفس .. في أطرها على ذلك-

٩- المضــادّة.. - فـإن كـل مـن تصـور حـال شـخص سيء، تصـوّر عنـدها حـال نقيضهِ[٥]، فعاد عن الخُلق الذميم- .

---

(١) أي ما أحطت به.. من علمٍ (عن الصبر).

(٢) كما حثّ الشاعر :

تسامى فإنك خير النفـــوس إذا قيس كلٌّ على ما انطـــوى

فالتواضع ولين الجانب والسكينة وسلامة الصدر...الخ، كلها من الرقيّ بالنفس.

(٣) مقتضاها، أو موجزها .. في حالة تصل إلى قول علي ﷺ :

أُريد حياته، ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

- .. وقد رددها، في ذاك الشقي الذي قتله!، فيما ذهب القاتل إلى القول: (فزت ورب الكعبة)، فشتان ما بينهما-

ولا عجب منه، وهو القائل — عمن خرجوا عليه بـ (إخواننا بغوا علينا)- ولم ينفي عنهم الأخوّة، وهذا هو التطبيق : أن تقول الحق، بالغضب والرضا!

(٤) .. بمعنى: أن القوة ليست (دائماً) بما تستطع أن تفعل ، لكن بما تجاهد به نفسك.. إن في عدم الانتقام، أو التشفي .. اللتان لا تصدران بخاصة الأخيرة.. إلا من ذوي القلوب المريضه!، وحديث { ليس الشديد بالصرعة..} وافٍ.

(٥) لأنه: (بضدّها تتميّز الأشياء).

١٠- حُسن الظن – فإن سوءه مع ما نهى الله عنه، يُظلم[١] على النفس من أن تُبدي خيراً لغيرها..-

١١- (الحلم) - .. فهو أوّل سلاح.. وأهم أدوات من ودّ أن يملك صفة اللين-

١٢- أخيراً.. وهي بالأصل (أولاً): .. القرآن .. والتخلّق بـ آدابه[٢]- تحديداً- أكبر مُعين على اللين، قال تعالى : ﴿كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر : ٢٣] ..

وقد أجملتُ كثيراً من هذه النقطة في محاولة، بـ (رسالة) مفردة بهذا ، بعنوان : " **إرْوِىء الظمآن من أدب القرآن** " .



(١) قال أبو الطيب: إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه!

(٢) .. فـ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء : ٩]

وهاك (نثرها) :

أو تفصيلُ ذلك (**تسلسلاً**) :

الإخلاص في تقريبه { أن من ترك شيئاً لِلهِ[1] عوّضه الله خيراً منه} .

.. وتسامح حبيبنا ﷺ مع أهل مكة يوم الفتح بـ { اذهبوا .. فأنتم الطلقاء} ، خير تجلية لنفسه الكبيرة.

وقد كان ﷺ قبلها في حالة .. وظرفٍ لا يعلم مدى آلامه وما يُقاسي.. إلا الله، ومع ذلك.. وحين أصبح (قادرٌ على الإنتقام) قدّم هذا النموذج.. لكافة الدُّعاة.

وفي هذا: خير تجلية عن البعد عن الانتقام والأنانية المقيتة، فإنه درسٌ للدُّعاة / في الصبر، والاحتساب .. إلى بلوغ الأمل المرجو (ولو) في انتظار جيلٍ آخر – منهم - .. أن تبلغ مرماك- بصبرك عندها- منهم.

.. بل إنه (الداعية) مُلزم – و.. بقدر هدفه- أن يصبر.. أن يتحمل، أن .. الخ، كيف لا ، ومولانا يستحثنا بإطراءٍ لأهله –الصبر- [2]: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى : ٤٣] ، والعزم[3] .. صفة اختص بها خمسة من الرسل عليهم السلام، بأنهم: ﴿أُوْلُوا الْعَزْمِ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

---

(١) وترك .. أي : لم يأبه به.. مهما كانت المغريات التي به.

(٢) لأن النفس تحتاج إلى جهاد..، قال محمود الوراق (**سألزم) نفسي الصفح عن كل مُذنب.. الخ.**

(٣) والعزم : الفعل الواجب، مما عزم الله – عز وجل- عليه (أي : أوجبه)، وأمر به.
وتأتي عزم بمعنى : ما كرهته أو شق عليك فعله، وأصل (العزم) : اعتقاد القلب على الشيء.
والعزم في اللغة : توطين النفس على الفعل والإصرار عليه.

أي أن هذا ينسحب وبدرجة أكبر على الدُّعاة، والعلماء منهم على الأخصّ، لقوله ﷺ :{ العلماء ورثة الأنبياء} ، وأبلغ من ذلك قول المولى عز وجل – في استفهام استنكاري- : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر : ٩]، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر : ٢٨]، و﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1] [المجادلة : ١١] ، ومن مشكاة النبوة يقول المصطفى ﷺ فيما أخرجه أبو داود والترمذي: {من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة}.

-فسبحانك اللهم خير مُعلّم علّمت بـ (القلم) القرون الأولى-

ولِلهِ درّ العلامة ابن القيم – رحمه الله- حين يوجز .. عنه بقوله :

(العلم حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو تركة الأنبياء وتراثهم وأهله وعصبتهم وورّاثهم).

فـ (العلم) إذاً مُعين، وليس بالعلم فحسب، ولكن في الصبر على ما يجد أهله.. في تبليغه (أو الأذى فيه)، ثم يأتي من بعدهم المربّون – ومنهم المعلمون[2] اليوم- ، وهكذا تتدرج المهمة هذه.

---

(١) وهم الذين صبروا على عظيم ما لقوا من المكاره والأذى والشدائد من قومهم، فلم تزدهم المحن إلا صبراً في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، وقد جمعهم الله بآية : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ [الأحزاب : ٧] .

(٢) فقد.. **كاد المعلّم أن يكون رسولا**.

ثم..، وقال عزّ اسمه مُمتنّا (لنا)- عباده - بهذا الرسول الكريم الخُلق: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

.. فيما قال له :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران : ١٥٩] ، والمعنى أن : من رحمة الله[1] بالمتلقي لين خطاب المُلقي، حال .. ما حدا بالأعرابي – حين (بال) وأين؟، بالمسجد !!..

.. فنهى الرسول أصحابه من أن يعنِّفوه – القول: (اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم أحداً بعدنا) فتبسم ﷺ وقال : { لقد حجّرت واسعاً ، يا أخ العرب}.

وأختم عن (الإخلاص) أن الخير إن ذهب في الدنيا عينه، بقي في الآخرة أثره، كما.. وإن ظهر للناس (صيتاً)[2] لصاحبه فلا يضيره أو ينقص من أجره، فلعلها- وقد تقرر في مطلع ثنايا ص٤٤- كرامةً من الله لصاحب الفعل.. كـ دليل (له) في الدنيا بأنّه على الحق، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام : ٨٤] ، مع ملحظ لا يخفى ، إذ دلّت أو : (أكّدت دراسة علمية حديثة أن العفو والصفح يرتبطان بانخفاض ضغط الدم الشرياني ومستويات هرمون التوتر في الجسم، واثبتت الدراسة أن هناك ارتباطات بين العفو والتسامح الفسولوجية في الجسم حيث أن التسامح والعفو يؤديان إلى تقليل إفراز هرمون التوتر الذي يؤدي إلى

---

(١) وقد ورد : أن الملائكة تأخذ روح المؤمن كما (تُسحب الشعرة من العجين).

(٢) فهذا (الذكر) لمن يترك دوياً : حُسن الذكر/

لـئن بليـتَ فلا يبلـى نـداك ولا ... تُنسى، وكم هالك ينسى إذا قدُما

تقاسم الناس (حسن الذكر) فيك كما ... تركت مالك بين الناس مقتسمـا

رفع ضغط الدم وهذا ينسحب على الإبتسامة) د. بلير، والأسمى- كشاهد- قوله ﷺ : { والذي نفسي بيده، ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزّاً } رواه البخاري.

ثم.. الصبر .. الذي قال عنه- أحد أهله . - لطالبيه: موجزاً أنّه (مطية لا تكبو)! .. بخاصة في الدعوة:

فـ .. **لا يحمل الحقد من تعلو به الرتبُ** [1].

وحين شتم رجل أبا ذر ﷺ ، أجابه: (يا هذا لا تستغرق في شتمنا ودع للصلح موضعاً، فإنّا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نُطيع الله فيه).

ثم.. مُجاهدة النفس – إلى .. إعلاء همّتها- سأل طفيلي عمرو بن العاص: مَن أمك؟، قال: (هي أَمْة، وإن كان مريض قلب قد جعل لك في ذلك جُعلاً، فكله هنياً مريئاً)!

وهذه تحتاج إلى جهاد.. للذات (التعوّد) لأن النفس تحتاج إلى أطر على الحق، وصبر على المكاره، ودفعٍ للرقيّ بها، فما الحياة إلا صبرٌ وجهاد، قال تعالى:

---

(١) لعل من أعظم النماذج الذي قدمه للبشرية إسلامنا هم أعلامنا، ولعلي أذكر منهم ابن تيمية وما في جوانب شخصيته من السماحة والطيبة والاعتذار للآخرين. ما تغريك به.. شخصيته الفذه – يرحمه الله- كيف، وقد قال بختام حياته أنه قد "سامح كل من ضايقه أو سجنه، أو ألّب عليه".. الخ
لأنه – باختصار – ينشد الرضا الأعلى، والهدف الأسمى، فحري بكل مسلم وبالأخص العلماء والأفذاذ أن يحذوا حذو هذا العلم- ومن قبله (طبعاً) رسولنا ﷺ - فهو معلّمه..-

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[العنكبوت : ٦٩] ، وكم أذكر لمقام الوالده (رقية) يرحمها الله دعوة في هذا (اللهم أغلبنا على الهدى والطاعة).

ألا فلننظر إلى الأمر بالحُسنى، ونجتذبه بـ لطف المخاطبة!، فهذا حبيبنا ﷺ، حين نادى علياً وفاطمة - رضي الله عنهما- بـ :

{ ألا تقوما إلى الصلاة} ، قالت فاطمة رضي الله عنها: أنفسنا بيد الله، إن شاء بعثها.. الخ، استشهد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٤]

و.. مع أن النتيجة هي غاية المقصد، لكن ديننا ينظر إلى الأسلوب العفيف، مع الغرض الشريف فهو يقول لنا ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[العنكبوت : ٤٦] ولفرعون – مدعي الربوبية – ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[طه : ٤٤] .. لماذا؟ ﴿ لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] فما فتىء ديننا يؤكّد على هذا، وبالأخصّ حالي (الدعوة)، أو (الجدال) عن الحق الذي يدافع عنه، لأن المقصد .. والمراد ليس الإبلاغ فحسب!

ولكن (النتيجة) أساسٌ في إيصال الرسالة[1] ، فالهدف كما أوجزه عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- : (..إن الله بعث محمداًﷺ هادياً، ولم يبعثه جابياً) للمال..، أي : للهداية، وهذه – الآية – توضّح .. قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أبداً، .. ﴿ فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ [النساء : ٩٤]- .. من أن تطمعوا بما (قد) تغنموا!، من عرضٍ زائل..-

(١) فالتحمل ثم التحمل لتبلغ النتيجة!، .. لعلّه ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۞ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٤ :٣٥]

.. من ذلك يتبين لنـا أن أَولى من يُطلب منه اللين والترفّق، هـو صاحب الهدف الأكبر كما في إلمامه .. ختم ص٢٨، فكلما كبر الهدف وعزّ المبتغى، كبرت مسؤولية الداعي لهُ، و(سَمَت) بهِ ذاته عن طلب حقّه، ثم عجب أن يكونوا فاعلي ذلك هم (ثلّة) ممن حملوا نفوساً كباراً، عبّر عن أصحابها.. الشاعر:

وإذا كانـــت النفـــوس كبـــارا تعبـــت بمرادهـــا الأجســـام[1]

فإن (الصبر) لا يُستغنى عنه أبداً، بخاصة: صاحب الهدف.. (الأسمى).

ثم.. الإيثار أي: لما عند الله، كما ما جاء في القرآن: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، وللحديث: { لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء}[2]، ويرتشف من الحديث مالك بن دينار – رحمه الله- فيقول:

(لو كانت الدنيا.. من ذهبٍ يفنى، والآخرة من خزف يبقى..

لكان الواجب أن يُؤثر – العاقل – خزفٌ يبقى، على ذهب يفنى، فكيف والأخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى)؟!

---

(١) .. كذا أوجز عنهم شعراً المتنبي، ولا غرو، فهو القائل:

وما كنت ممن بالمُنى أدرك المُنى(*) ولكن بأيام يُشبن النواصيـــا

(*) فالأولى التمنّي، والثانية المبتغى.

(٢) رُفع إلى هارون الرشيد كوب ماء، كان قد طلبه، وكان عنده إبن السماك- الزاهد- . فقال له مهلاً يا أمير المؤمنين!، أرايت إن منعت إياه، فكم تدفع فيه، قال: بنصف ملكي، ثم لما شربه، أعاد عليه بسؤال آخر: ماذا لو منعت إخراجه، فكم تدفع لهذا، قال النصف الآخر- أي: من الخلافة- ..

قال - عندها – ابن السماك: (بئس مُلكٍ، لا يُساوي شربة ما)!، فبكى الخليفة من هذه الموعظة.

وخذ إشاراتٍ وافيات: يقول تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[آل عمران : ١٣٣] و ﴿ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾[فاطر : ٣٢] و ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠] ، هذا في أمر الأُخرى، أما الدنيا فـ ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا[١] ﴾ [الملك : ١٥] - .. وسيروا (رويداً) هُنيّاً، ولا تتنافسوا في جمعها!- { فتهلككم كما أهلكتهم }- أي.. أُمم ممن سبق-

وهذا (الحبيب) ﷺ - وهو يلقى من أذى قريش في أعظم أمرٍ (الدعوة).. ما يلقى -وهو .. نموذج لا يضاهى مطلقاً، قال عندها : { اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون } !

وذاك العبد (الصالح).. - مؤمن آل ياسين- قال.. و بعد أن دخل الجنّة: ﴿ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ[٢] * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[يس : ٢٦ : ٢٧]

أي: حتى وبعد ما أُدخل الجنة، حمل (همّ) قومه، وماذا سيُفعل بهم، وكم ودّ لو علِموا بما ناله، لكي يسعوا إلى ما بلغه فينالوا ما ناله، فأيُّ إيثار[٣] بلغه هذا؟ وأحسن من قال :

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي ... سحائب لا تنتظم البلادا

وقال -بعد تعديلٍ- أحمد الصايغ:

جميل بعيني هذا المصيف ... وأسواء ما فيه مقد البشر

أجل، وأحسن أهل الشام بقولهم (جنة بلا ناس، لا تُداس).

---

(١) أي : جبالها ، وقيل في نواحيها وجوانبها.

(٢) .. وقصده: (يعلمون) ليس تهديداً أو (وعيداً) بما ينتظرهم من العذاب والعقوبة! لا.. أبداً. بل بما لدى مولانا من (خير ومغفرة ورحمة).. هي وربّي: ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٧] .

(٣) للإيثار صور كثيرة.. ، لعلي- وإن كان ليس هذا موضوعنا، لكن لا بأس بشاهدٍ..- أوجزها بما قاله أحد الصالحين - حين رُوي بالمنام - ماذا تتمنى؟ أجاب (أن يُغاث الناس).

وقال أحدهم – عن أصحاب تلك السمة – ثقة .. بنيل مطلبهم:

إذا نـــزل الســـماء بـــأرض قـــوم رعينـــــاه، وإن كـــــانوا غضــــابا

أيضاً: قال تعالى – في مدح الأنصار – ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً ﴾ [الحشر : ٩] أي : مع أن المهاجرين خالطوا إخوانهم ثم قاسموهم بالمال والحال والديار، ..

مع ذلك ليس في قلوب إخوانهم الأنصار شيء من التأفف أو النفرة أو حتى التململ، ولا عجب – منهم- ، حين تجاوز كرمهم ، إكرام الضيافة المعروفة/ فبعد أيامٍ – من قدوم المهاجرين.. للمدينة- قاسموهم البيوت، بل تجاوز كرمهم، فعن أبي هريرة ﷺ قال:قالت الأنصار للنبي ﷺ: (اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل)، قال: {لا}، ثم قال: {تكفوننا المؤونة، ونشرككم في الثمرة}، قالوا: (سمعنا وأطعنا) أخرجه البخاري.

ولا عجب أن يثني عليهم المولى بـ ﴿ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٤]، وهذا ما حدى.. بأبي بكر ﷺ قبل أن يُبايع ببرهة..

أن يُذكّر(١)، فيذكر لهم إحسانهم هذا(٢).، بالإستشهاد (لهم) بما قاله طفيل الغنوي- في قبيلة بني جعفر - بـ:

أبـــو.. أن يملونـــا، ولـــو أنّ أُمّنـــا تُلاقـــي الـــذين يلقـــون مِنّـــا لملّـــت

ألا.. فـ : (كونوا.. كالشجر، تُرمى بالحجر .. فتُلقي بالثمر).

(١) هذا – الشكر والذكر – أقل حقوق المتفضّل انظر ختام نقطة (خامساً) .. في ص٩١.

(٢) وهذا من قبيل الوفاء، و(العدل) الذي أُمرنا به..- وقد تقدم عنه-

أما الوفاء، فيكفي قوله ﷺ : { ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط، ما نفعني مال أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لأتخذت أبا بكر خليلاً إلا وإن صاحبكم خليل الله}. – وهذا من دلائل (شكره) أيضاً.. ﷺ-

.. ولما رأى ﷺ السائب بن أبي السائب يوم الفتح- وكان شريكه في الجاهلية- ، قال له : { مرحباً بأخي وشريكي لا يُداري ولا يماري...}.

فالوفاء من (العدل) والإنصاف، بخاصة حال وجود النعمة والرفعة، قال أحدهم :

إن الكـرام إذا مـا أيسـروا ذكـروا   مـن كـان يـألفهم في المـوطن الخشـن

في.. رد الفضل لأهله، واحترام العشرة، ومن أعظمه - هنا- : بين الزوجين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

(ما غرت على امرأة ما غرت من خديجة) الخ، قصدها مما رأت من وفاء رسول الله ﷺ لها.

.. مع نسيان الماضي، قال أحدهم :

أهـلاً بـني عمّنـا أهـلا موالينـا[1]   لا تنبشـوا مـا كـان بـالأمس مـدفونا

تجلّى هذا في ما قالهُ - ﷺ - لملك الجبال، حين خرج من الطائف الذين لم يكتفوا بردّه، بل اتبعوه بغلمانهم يرجمونه.. ويتبعونه بـ الألفاظ[1].. التي أوجز عن

(١) الموالي/ هم أبناء العم وأولي العصبه، قال تعالى ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ [مريم : ٥]
.. ويقال – بالعامي- فلان ماله (والي)!، أي : قريبٌ يُدافع عنه.

أثرهما قوله ﷺ :{ فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب}- بالقصة المعروفة- فـ أجابه: { لعل الله أن يُخرج[٢] من أصلا بهم من يوحّد الله}.

لأنها.. هيّنةً لمن هيّنها الله عليه، وهيئها له، فاللهم وَجِّهْنا للخير ووجّهه إلينا.

.. هذا مع ما سوف يأتي من بسطٍ في (تاسعاً) ص١٣١ وما بعدها.

ثمَّ.. فـ (الحق) لا يراه إلا من شرح الله صدره بالتقوى والإيمان { فَهُوَ } أي صاحبه عند إذ ﴿عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]- ، فيما الضلالة يُمدّ لصاحبها، ويُطمس الله على قلبه فلا يفقه شيئاً، كأنّ ﴿عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] !

و.. لأن الشيء يظهر في ضدّه أكثر، فقد قيل لحكيم: ممن تعلّمت حُسن الخُلق؟، قال: (من سيء الخلق)، ولهذا قال الشاعر مبيناً :

إذا جاريـــت في خُلـــقٍ دنيئـــاً فأنـــت ومـــن تُجاريـــه (ســـواء)!

ثم.. حُسن الظن، فإنه – أيضاً- باب تلج منه كل القلوب، فإن من يُحسن الظن، ويفسّر أقوال الآخرين على سجية ما قصدوا –ابتداءً- ، لا ما سقطوا به.. من التعبير –أكان سهواً.. أم عمداً[٣]- فإن صاحبُ هذا الصنيع(سالبٌ) للقلوب.. ولا شكّ.

ومن (حُسن الظن) ، حُسن التفائل، والظن بالله ثم الأمل بالناس الخير..

---

(١) حتى أغرق أحدهم بالقول: (لم يجد الله أن يبعث إلا أنت)!- أبلغه الله ﴿ ناراً مؤصده﴾ ، آمين-

(٢) .. كما سيأتي، ص١٤٩، مع هامش ٤ .

(٣) أو حتى ما استبطنوا (فإنما لنا الحكم على الظاهر).

فإن مَن يضع على عينيه نظارة سوداء، فهو الجاني ابتداءً.. على نفسه، أن (يرى الدنيا سوداء .. اللون)!

.. ذكر أبو جعفر الشيباني فقال: "أتانا (أبو مياسٍ) الشاعر ونحن في جماعة، فقال: ما أنتم فيه وما تتذاكرون؟ قلنا نذم الزمان وفساده، قال: كلا، إنما الزمان وعاء، وما أُلقي فيه من خير أو شر كان على حاله، ثم أنشأ يقول:

أرى حِلـلاً تُصان على أُناس ... وأخلاقاً تداس فما تصانُ

يقولون الزمان به فسادٌ ... وهم فسدوا وما فسد الزمانُ"

- من معنىً سبق إليه (الشافعي) رحمه الله، بصدر بيتٍ (بليغ):

نعيب زماننا والعيب فينا ، .. أكّدها في عجز (البيت):

وما لزماننا عيبٌ سوانا

وحديث { من قال هلك الناس، فهو أهلكهم} رادعٍ أولى.. لأولئك.

فيما .. كان – في الطرف الآخر – أحد شعراء (الأندلس) الزّهية البهية عصراً ومصراً .. متذمّراً (دائماً)، حتى قال:

وأيام خلت من كل خير ... ودنيا قد توزّعها الكلاب

كلاب لو سألتهم تراباً ... لقالوا عندنا انقطع التراب

.. وكم تعجب من رجل مثله، يقول قوله، وهو من هو، وزمانه أزهى عصور الأندلس ولم يخل من الخير وأهله، لكن التذمر للمتذمر ديدن لا يفارقهم ومنهج لا يجانبهم! سواء نال نوالاً أحدهم، أو كسب مالاً، فيظل يعيش بما تمليه عليه نفسه، أو قل تنظر به عينه (المتشائمة).

ثم.. **الحلم..** ناشد (الشاعر) أهل ذلك بـ:

مَـــن.. لـــي بإنســـان إذا أغضـــبته كـــان (الحلـــم) ردّ جوابـــه

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : " أوّل عِوض الحليم عن حلمه أنَّ الناسَ أنصاره"..

.. وقد أدلت الباحثة (نورا العلي) عن هذا - الحلم - في مثالٍ بـ " معن بن أوس" بقولها: (طريقته التي تبعها مع قريبه لمعالجة ما به من قطيعة وضغن، فيقول :

فمـا زلـت في (لـيني) لـه وتعطّفـي عليـه كمـا تحنـو علـى الولـد الأم
وخفضـي لـه مـني الجنـاح تألّفـا لتدنيـه مـني القرابـة والـرحم
وصـبري علـى أشـياء منـه تُـريبني وكظمي على غيظي، وقد ينفع الكظم

قد نفع والله الكظم خير نفع حين أزال القطيعة) ، ثم قالت :

(من أعظم الدروس في علم النفوس، وعلاجاً تعجز عنه العيادات النفسية بكوادرها الطبية، إذ استطاع استلال المرض وعالجه بطريقة الصبر العجيبة وبالحلم، وقد فعل ما فعل - الشاعر - ليستلّ "عاهة" الضغن وكان له ما أراد، حيث يقول :

لأسـتلّ منـه الضـغن حتـى سـللته وقـد كـان ذا ضـغن يضـيق بـه الحلـم
وأبـرأت غـلّ الصـدر منـه توسّـعاً بحلمـي كمـا يُشـفى بالأدويـة الكلـم
فاطفـأت نـار الحـرب بـيني وبينـه فأصـبح بعـد الحـرب وهـو لنـا سـلمُ)

.. وخُذ هذه : قال خادم (الحريري) نافثاً – ولم يعلم أن سيّده وراء الباب - :

وجه الحريري،وجه قردٍ، .. فأتم عنه الحريري بـ :

و(الضرورة) أحوجتنا إليه!

فخجل الخادم، وحين عُوتب الحريري: لما قلت أو أكملت عنه؟، قال: (أكملت لأتقي شرّ لسانه).

أخيراً، وليس آخراً (القرآن الكريم) كتاب الله.. ومأدبته .. إنه : أعظم سبب لألانة القلب، قراءة وتعلّما وتلاوة وتدبراً، واستماعاً..

ولهذا يتسائل مولانا بـ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾[الحديد : ١٦]، ويقول في وعيدٍ وتهديد : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ(١) قُلُوبُهُم ﴾[الزمر : ٢٢]

ولإن خصّ رمضان به، كما قال الشاعر :

وافــاك ضــيفاً، فــالتزم تعظيمــه ... واجعـــل قـــراه(٢) قـــراءة القـــرآن

فإن هذا كما أوردنا عن خصوصية رمضان، و .. هذه أيضاً بقياس تلك.

.. وقال الحسن البصري: (إذا أردت أن تُكلّم الله فادخل في الصلاة، وإذا أردت أن يُكلّمك الله، فاقرأ القرآن).

.. ف قراءته ﴿ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ(٣) ﴾[الإسراء : ١٠٦] وتلاوته ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ثم.. ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾لأنها – أي ﴿ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾، ويختم بـ ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٥] وتدبره ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ

---

(١) كما قال سبحانه ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١]، فإذا كان هذا الجماد الجلف يتصدّع من كلام الله، فكيف بقلوبنا – التي من لحمٍ- لا تتأثر!.. إلا أن كان بسبب " ران" غلّف عليها – عياذاً بالله من ذلك-

(٢) وقراه : أي إكرامك له، بالقراءة في القرآن الكريم.

(٣) ومُكث أي : تَمَهلٌ، فهذا أحرى للفهم والاستيعاب والحفظ.

القُرْآنَ﴾ .. لأنّه ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، كما وفي الحديث { إقرؤا والقرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه} وتعلماً له: { خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه}، واستماعاً: { إني أشتهي أن أسمعه من غيري}.

وبعد كل ذلك التخلّق بآدبه لنسموا بأنفسنا إلى درجة ما بلغه حبيبنا ﷺ الذي: (كان خُلقه القرآن)[1].

لأنه كتاب ربنا..، وأيضاً منهجنا، ودستورنا، فلا عجب أبداً.. أن يكون (أكبر) مُعين– وأعمق مَعين- لنا على **الانة القلوب** منّا، قال تعالى: ﴿ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]

ثم إن الله حين أمرنا بـ :﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، أن في هذه الآية لافتٌ عجيب، أو قل تأديب: أن هذا (الأمر) حال ما يكون الخطاب موجّه لكافة الخلق، لقوله: ﴿ لِلنَّاسِ﴾ كافّة، وليس للمسلين فقط!، فمعنى هذا أن الأمر بالإحسان في حق إخوانك في الدين أولى، وأشدُّ طلباً.

.. وحين قالوا " ليس على المُعرب أن يُطرب، ولكن إن أطرب فهو أعذب"!

أي: استطاع[2] أو تمكّن من جمع الحسنين، الأمر بالخير، وبأسلوبٍ مُحبب للنفوس – فـ .. تقبله، ولا تأنفه-

(١) وقد تقدم عن هذا، في هامش ٢ ص١٩.

(٢) فـ / هناك أناس، ويمكن أن تطلق عليهم (الأناقة) لا بالشكل، ولكن أناقةً(*) التعامل، .. دلالة على ما لديهم.. من الأسلوب اللطيف، والتسامح الذي يُغالب مُحيّا أحدهم..

(*) وأحسب صاحب المقدمة (د. خالد المنيف) .. نموذجاً جليّاً في هذا، لمن أطال قراءةً فيما يُسطر-

بـل .. بلـغ الأمـر حتـى مـع المخـالفين، يقـول سـبحانه: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وفاض في الأمر إلى درجة كبيرة مع أولئك الذين كابر جزء كبير منهم ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] .. لعل عندها: ﴿تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] .. وكما (أكدنا) لبلوغ المرمى: (الهداية) لكافة الخلق – كما تقدم/ ختام ص٢٨-

ثم.. لاحظ - هنا- أدب القرآن ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا[1] وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]، فوصف عملنا بالإجرام وصنيعهم.. بالعمل، وهذا قمّة الأدب، تعدّى درجة الإنصاف والعدل!.

وقد نبّه ابن عباس رضي الله عنه في الآية ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣] بـ:

(إن الله كريم، يكنّي ما شاء بما شاء، وإنما قصده الجماع).

وكذا عن قوله تعالى ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ [هود: ٧١] أي: حاضت –والله أعلم -

والآيات والأحاديث الصحيحة في الكنايات - عن الألفاظ الـ (. . .)- بل عند العرب[2] كثيرة، وهذا هو المطلوب، سوى ما تستثنيه الحال[3]! أي: إذا دعت الحاجة إلى ذلك فلا بأس به، بل هو المتعين، فإن تحصيل الإفهام في هذا أولى من مراعاة الآداب، كما قرر أهل العلم، فالكنايات هنا لا تكفي، مثلاً قيل:

قد يكون في (بيت الشعر) ومضة[4].. لكنها لا تفي.. المراد!

---

(١) أي: هبّ أننا أجرمنا، فلماذا لا تُنقذ نفسك.. في البحث – أنت وبنفسك- عن الحق؟! فـ (الحق) يحتاج إلى تجرّد من ثلاث: (الأهواء) و(الدوافع) و(المؤثرات).

(٢) انظر .. في هامش (٢) ص١٤٢ .

(٣) أي يخرج عن هذا.. عدم التكنية ، في حالات شرعية كالطلاق الذي لا يكفي به الكناية! فمن قال – مثلاً- لزوجته (بالله إذهبي)، أو (بس خلاص) وما بقياسها، فإنها كنايات غير صريحة (الدلالة)، وبالتالي لا يقعُ بها الطلاق.

(٤) أي .. (محفز)، وقد تقدم مثالاً في: هامش (٢) ص٧٤.

ومـن بـاب الأدب الآخـر/ ارع وعيـك أيُها المبـارك .. إلى (أدب) الخضـر مـع ربـه، فإنه لما تكلّم عن خرق السفينة نسب الخرق إلى نفسه بـ ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩] ولما ذكر الخير وذكر الفلاح والنجاح نسبه – أدباً[1] - إلى ربه بـ ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾[الكهف: ٨٢]

والغاية بمثل هـذه الإشـارات أن نتحلى بمـا أراده الله أو طلبـه منّـا: أدبـاً وتأدبـاً وحسـن قـول، وجمـال عـرض.. الخ، فـ ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[النحل: ١٢٥].

بـل إن عـرض أدب القـرآن يحتـاج[2] إلى أسـفار ، لا مـادة.. متواضـعة الطـرح - كمادتي.. هذه- ، ولعل في هذا داعٍ أكبر ودعوة أعم إلى: التنبّه إلى "التدبر" وحُسن التمعّن حال قراءتنا لكتاب الله (كما تقدم).

.. يُوجز الداعية عبد الحميد بن باديس: (والله الذي لا إله إلا هـو مـا رأيتُ.. وأنا ذو النفس الملأى بالذنوب والعيوب، **أعظم الإلانـة للقلـب واسـتدراراً للـدمع**، واستحضـاراً للخشية وابعث للتوبة، من تلاوة القرآن، وسماعه) – ونحسبه صادقاً "بهذا" دون أن يُقسم- .

(١) .. والأدب مع الله هو : (الدين كلّه) – كما أوجز الشيخ صالح المغامسي- ، وتجد أن إبراهيم عليه السلام.. حين عدد منن الله عليه نسبها إلى الله، وحين ذكر المرض قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠] .. أي: نسبهُ إلى نفسه!

(٢) عرضت لبعضه في رسالة (تحت الإعداد النهائي)، وأسأل الله أن يعين على إخراجها، وعلى الوجه الذي به –عنّي- يرضى .. فيما أشرت له- ختم ص٨٠-

وحتى في السنّه[1] .. من خلال تعمية.. أو تعريض في الكناية، إقتداء برسولنا ﷺ { ما بال أقوام[2]..} ، وجاء نص {ما بال رجال..} .. لأن (ديننا) ينظر إلى نوع السلوك لتصحيحه، لا إلى (شخص) فاعله! فما النقد بالغالب أو مقاصد من يبثّه، وإن فاض عن بعض أهل العتب كيلهم، فإنه.. آتٍ على وزن :

لا يحسب التمتام أني هجوته ولكني فضّلت أهل المكارم

تقريعاً، فإن أولى النقد في القبول: أن يكون بإسلوب جذاب، كما في حديث: { نعم الرجل عبدالله، لو كان يصلي من الليل} - المعنيّ بهذا: عبدالله بن عمر رضي الله عنهما-

.. ليفاضل غيره من أترابه، بدلاً من أن يكون مفضولاً من أحدهم، بخاصة مع من يوازيه بالقدرات والأدوات.



(١) .. ونبه النووي رحمه الله – في (الأربعين) – لحديث: { من همَّ بحسنه كُتبت له..، ومن همَّ بسيئه كتبت..} ولم يقل (له)، وذاك أنها إنشاء الله مع التوبة والاستغفار وحُسن الإنابة، وصدق الأوبة مغفور له.. وتُمحى عنه، أما الحسنة فـ (بإذن الله) ثابتة له .. والله أعلم.

(٢) .. بل التمس لهم عذراً حين عزى.. دعائه لهم، في نسب ما اجترحوا لجهلهم: { اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون}.

(موجزٌ) .. عـام/

ما جاء من حكم العرب :

جاء في كتاب المستطرف[1]. أن الحجاج بن بوسف، سأل يوماً "الغضبان بن القبعثريّ" عن مسائل يمتحنه فيها، فقال له : من أكرم الناس؟ قال : أفقههم في الدين وأصدقهم لليمين، وأبذلهم للمسلمين، وأكرمهم للمهانين، وأطعمهم للمساكين.

قال : فمن ألأم الناس؟ قال : المعطي على الهوان، المقتر على الإخوان، الكثير الألوان.

قال : فمن شَرّ الناس؟ قال : أطولهم جفوة، وأدومهم صَبْوة، وأكثرهم خلوة، وأشدّهم قسوة.

قال : فمن أشجع الناس؟ قال : أضربهم بالسيف، وأقراهم[2] للضيف، وأتركهم للحيف. قال : فمن أجبن الناس؟ قال : المتأخر عن الصّفوف، المنقبض عن الزحوف، المرتعش عند الوقوف ، المحب ظلال السقوف، الكاره ضرب السيوف.

قال : فمن أثقل الناس؟ قال : المتفنن الملام، الضّنين بالسلام، المهذار في الكلام، المقبقب على الطعام.

قال : فمن خير الناس؟ قال : أكثرهم إحسانا ، وأقومهم ميزاناً ، وأدومهم غفرانا ، وأوسعهم ميداناً.

قال : لِلهِ[3] أبوك ، فكيف يعرف الرجل الغريب، أحسيب هو أم غير حسيب؟

(١) (المستطرف) للأبشيهي/ ١ : ٤٧ .

(٢) أي: أكرمهم .

(٣) كقولهم .. لِلهِ درّك.

قال : أصلح الله الأمير : إن الرّجل الحسيب يدلك[1] **أدبه وعقله، وشمائله وعزّ نفسه، وكثـرة احتمالـه، وبشاشـته، وحسـن مداراتـه علـى أصـله**، فالعاقل البصير، بالإحساب يعرف شمائله، والنذل الجاهل بجهله، فمثله كمثل الدرة الحسنة، إذا وقعت عند من لا يعرفها، ازدراها وإذا نظر إليها العقلاء، عرفوها وأكرموها، فهي عندهم لمعرفتهم بها، حسنة نفيسة.

فقال الحجاج : لِلهِ أبوك : فمن العاقل؟ ومن الجاهل ؟ قال : أصلح الله الأمير، العاقل الذي لا يتكلم هذراً، ولا ينظر شَزْراً، ولا يضمر غدْراً، ولا يطلب عُذْراً، والجاهل هو المهذار في كلامه، المنان بطعامه، الضّنين بسلامه، المتطاول على إمامه، القاضي على غلامه.

قال : فمن الحازم الكيّس؟

قال : المُقبل على شأنه، التارك لما لا يعنيه. قال : فمن العاجز؟ قال : المعجب بآرائه، المتلفت إلى ورائه. قال : هل عندك من النساء خبر؟ قال : إني بشأنهن خبير، إن النساء من أمهات الأولاد، بمنزلة الأضلاع، إن عدّلتها انكسرت، ولهنّ جور لا يصلح إلا على المداراة، فمن دارهنّ انتفع بهنّ، وقرت عينه، ومن شاورهن كدّرن عيشه، وتكدّرت عليه حياته، وتنغّصت لذّاته، فأكرمهنّ أعفهن، وأفخر أنسابهن العفّة، فإذا زلن عنها، فإنهن أنتن من الجيفة.



(١) .. بنفس القياس: سئل حكيم : بماذا تعرف وفاء الرجل بدون تجربته؟، أجاب: (بحنينه لصباه، وعهد بمراتعه.. قضاه).

(ماءُ)(*) هذا الكتاب

و.. من بعض مرامي ما تقدم، سوف أسمح لقلمي أن يسنح ليجول بالقارئ.. عن (اللين)، ومقامه في شريعتنا الغراء، وكيف يناله العبد، ثم.. إلى أثره على صاحبه إبتداءً - إنشاء الله- في نقاط /

أولاً: ليُعلم أن (اللين) صفة الموطأين أكنافاً، وهم مألوفين ويُألفون – كما في نص (الحديث) الذي تقدّم- ، قال الشاعر.. موجزاً:

و(خـــير النـــاس) عنـــد الله شـــخصٌ تحلّـــــى بالمكـــــارم والصـــــفات
إذا جالســـــته يومــــاً تجـــــده لطيـــف القـــول، موصـــول الثبـــات
وإن فارقتـــــه تشـــــتاق دومـــــاً لرؤيتـــــه، بـــــدون مقـــــدّمات..

والأجمل في سمت كثير من أهل الفضل إذا ما لاجّه أحد أن ينفث بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله)، ولا غرابة.. فقد قال فيها الرسول ﷺ :

{ من قال لا حول ولا قوة إلا بالله، كانت له دواءً من تسعة وتسعين داء، أيسرها: الهمّ } ، وحديث : { إن سابّه أحد، فليقل إني صائم}.. أي في الصيام(٢)،

(*) .. من إشارة جليلة ، أخذتها من ذلك النبع الذي لا ينضب: القرآن الكريم : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء : ٣٠]

.. فالماء هو (سرّ) الحياة، أي: ليحي- المرء- ، .ويبلغ مراميه.

(٢) بخاصة ونحن في موسمه (رمضان) – أعني (ظرف) زمانٍ.. آثرتهُ لأُنجز به هذه المادة.

- انظر (توقيعي) المؤرِّخ للمادة.. ختم ص/٢٩ -

فـلا عجـب أن يـوجز ديننـا أعظـم معنـىً للصـيام بالحـديث { مـن لم يـدع قـول الـزور والعمـل بـه، فلـيس لِلهِ حاجـة أن يـدع طعامـه وشـرابه} أي: إن مـن لم يُطهّـر الصـيام لسانه.. الخ، فمـا المعنـى مـن أن ينقطـع عـن الأكـل والشـرب، وعبـاد الله لم يسـلموا منه.. وهو منهج أولئك لا حال الصيام فحسب، بلِ في كلِ حالٍ، ألم يأمرنـا مولانـا.. إذا ما خاطبنا جاهل.. أن نردد سلاماً: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ [الفرقان : ٦٣] ومعنى (سلاماً): أي قولاً سديداً يسلم به قائله من الأذى- وقيل[1] : هـو الكـلام الطيب، والسلام.. رحمة عظيمة من الله، وأمان من كل مُوحش أو ما يُخاف منه- ، ألا.. فطوبي لمن عفى عمّن هفى...

فلا.. لا تُثرّب على من يُخطىء بلا قصد ، ولا تلم أيضاً على من اجتهد فلم يُصبْ، كما .. لا يُلامُ على الهفوة ، فالله سبحانه - الكريم- يقول :

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ [النجم : ٣٢] ، واللمم: هي المحقرات من الذنوب، أوتلك التي لم (يلمّ) صاحبها بها مرّة بعد مرة.

ويتأكد الطلب في شهر الصيام للحديث : { إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث.. } الحديث .. ثم للعلم: أن شهر رمضان كـ (دورة)[2] تدريبية لمدة شهر تتزوّد بها للأحد عشر شهراً الباقية من السنة!

(١) ومن مراداتها : أي الإمان – يوم القيامة- ، وقد أتى إيضاح هذا بأكثر من آية، كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] و﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٩] ، و: ﴿ إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان : ٥١]

(٢) أجل، أقول (دورة)(*).. لأن في مدرسة رمضان ستدركون لماذا نصحكم رسول الله ﷺ بإعطاء الأجير أجره قبل جفاف عرقه، ولماذا طلب إليكم ألا تثقلوا عليه بعملين في آنٍ، ولماذا حثّكم على حسن التعامل معه، بمداعبته ومجالسته ومؤاكلته، ..
وستعون ما قال أنس بن مالك ﷺ بأنه لم يسمع كلمة (لمَ فعلت .. أو لم تفعل؟) منه- ﷺ - طيلة سنوات مرافقته.. و(خدمته) له.

و.. لأنّ هـذه (الفضـائل) يحـث إليهـا ديننـا في كـل العـام، مثـل مـا يُـردد لكـل صلاة أن: يا أهل الفلاح (حي على الفلاح)، فـ: تتكـرر الدورة - في رمضانٍ قابل -

.. كما أن القرآن قد وُسم بـ ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١] أي: المُذكِّرِ للعباد كل ما يحتاجون إليه من العلم.

وبالمناسـبة: لإن كـان هـذا الشـهر اخـتص بفضـائل، كــ: {لا رفـث في الصيام} كما في الحديث، فهو في ما سواه كذلك، لكـن كمـا قـال أهـل العلم: (أن هذا يتأكّد في الصيام[1]) تعليلاً: لما فيه من صيام الجوارح - .. عموماً - ، وإشارة أوضح: كما قال تعالى: - لمن أراد الحج - : ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

.. فإن كل فعل أو قول محرّم بالأصل.. فإنه يتأكد أو قد يتضاعف[2] إثمه حال الصيام، لحرمة الشهر، وعبادة الصوم التي هي (جُنّة) — أي: وقاية - .. من الآثام، كما أرشد جابر ﷺ: (إذا صمت.. فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك - من صيامك - وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل - وهذا الشاهد - : يوم صومك ويوم فطرك سواء)[3].

ولو أردت استشفاف معنى لهذا، لوبّخنا: (أن ما الفائدة من هذا الصيام.. إن تكن في أثنائه لم تُطبّق .. للتزوّد - لذاتك - من هذه المقاصد السامية).



- (*) وحين تستقرّ في نفوسكم معالمها ومعانيها الجسام - أي هذه (الدورة) - تنالوا شهادة عليها: { .. وآخره عتق من النار} - الحديث -

(١) .. أُنبّه لهذا، لأن قد يفهم قوم أنه فيما سوى (شهر) الصيام فلا بأس، لا - وربي - أبداً!! لكنّ حال (الصوم) تعظم الحرمة. - وهذا هو المقصد -

(٢) كـ (حشفاء وسؤ كيلة) - .. أو خطأ مركب -

(٣) أنظر كتاب: لطائف المعارف.. لابن رجب الحنبلي.

ثانيــاً: أحسب أن (اليُسر) والتيسير ـ الذي عمد إليه ديننا العظيم.. في كافة مطالبه - ، .. و كذا (الرفق) و (اللين) هي بمعنىً واحد ، أو تصب كلها بمجرىً واحد ، وصدق من أوجز (قضى وقدّر ، وشرع فيّسر) .

وللحديث { اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به} ،وقال أيضاً : { إن الله رفيق يحب الرفق..} كما جاء في الصحيح.

وهــو الرفيــق يحــب أهــل الرفــق يعطــيهم في الرفــق فــوق أمــان

وللحديث المتفق عليه : { يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تُنفروا } ، وإليك الأجلى:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : {ما أهلكك}؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان ، فقال { هل تجد ما تعتق به}؟ قال: لا ، قال : { فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين}؟ قال : لا ، قال : { فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً }؟ قال : لا ، ثم جلس ، فأتى النبي ﷺ بعرف فيه تمر ، فقال : { خذ تصدق بهذا } ، قال: فهل على أفقر منا؟ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: {اذهب فأطعمه أهلك} متفق عليه.

..وأضيف اليسير مما فتحه الله تعالى على بعضهم في هذا الباب ، وأنقله بتصرفٍ من كتاب (الوسطية في الإسلام) لسلمان العمر (سلّمه مولاه):

أ/ يستلزم على كل مسلم أن يدرك معنى الوسطية والقصد والاعتدال بأنهم في معنى واحد هو الاستقامة في الأمور كلها الدينية والدنيوية ، وما خرج أحد عن هذا القصد والاعتدال إلا سلك إحدى طريقتين إما جفاء وإعراض وإما غلو وإفراط وكلا الأمرين مذموم شرعاً.

فالآيات والأحاديث لذلك لكون الوسطية من (خصائص الإسلام)، ومما ورد في الصحيح قوله ﷺ: {القصد[1] القصد تبلغوا}- وهو لفظ أتى ممن (أوتي جوامع الكلم) ﷺ -

ولقد ذكر ابن حجر - رحمه الله - سبب هذا الحديث وهو أن النبي ﷺ مر برجل يصلي على صخرة فأتى ناحيته فمكث ثم انصرف فوجد الرجل على حاله فقال ﷺ : {أيها الناس عليكم القصد عليكم القصد} انظر فتح الباري ١١- ٢٩٨.

ب/ إن الإسلام يجمع بين مطالب الروح ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ ومطالب الجسد الباطنة: ﴿وكلوا وَاشْرَبُوا وَلَا تسْرِفوا﴾، والظاهرة: ﴿خُذوازِينَتكُمْ عِندَ كلِ مَسْجِدٍ﴾..

جـ/ إن الإسلام ينهى عن التفريط في الدين .. كما ينهى عن الغلو فيه، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : {هلك المتنطعون}[2] وأعادها ثلاث مرات.

د/ إن الإسلام حينما يدعو إلى إنارة العقل في البحث والنظر يؤكد على أن هذه الأمة (وسط) في التفكير والشعور فهي لا تغلق منافذ التجربة والمعرفة، وهي أيضاً لا تتبع كل ناعق وتقلد الآخرين في كل شيء، إنما تتمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول.. وشعارها الدائم {الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها} في تثبت ويقين..

ثم أورد تقريباً أمره تعالى - على لسان موسى وهارون، عليهما السلام- : ﴿فقولا لهُ قوْلا ليّنا﴾[طه : ٤٤] مع.. مَن؟، مع فرعون الذي لم يتّهم موسى عليه السلام بالسحر فقط، بل إنه إدّعى الربوبية: ﴿فقَال أنَا رَبّكُمُ الأعْلى﴾[النازعات : ٢٤]!

---

(١) فلفظ القصد الأول منصوب على الاغراء أي الزموا الطريق الوسط المعتدل .. واللفظ الثاني للتأكيد..

(٢) والمتنطع هو: المتشدد في غير موضع التشديد.

جاء في الأثر أن رجلاً دخل على بعض الخلفاء، فقال: إنني سأعظك وأغلُظ عليك، وكان هذا الخليفة فقيهاً، فقال: ولِمَ الغلظة يا أخي، لقد أرسل الله **من هو خيرٌ منك إلى من هو أشرُ مني**، أرسل موسى وهارون إلى فرعون، فذكر قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا[1] لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]).

وفي الحديث { ما رافق الرفق شيئاً إلا زانه} والعرب تقول: (ما زان المتكلم إلا الرّزانة) ، وبلغ (الرفق) .. أن يكون هو العقاب، وقد تقدم قول المتنبي:

ما قتل الأحرار.. كالعفو عنهم!

كما قال الشاعر :

إن الترفّق بالجاني عتابُ!، لأنّه:

(ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه) والمرء يكفيه الجليس الصالحُ

.. وحين دخل مسلمة بن عبد الملك على ابن عمه الخليفة الراشد (عمر بن عبد العزيز)– في مرضه الذي تُوفي فيه – فقال له : (ألا توصي يا أمير المؤمنين؟

فقال : بم أوصي، فوالله إن من مال، فقال : هذه مئة ألف فمُر فيها بما أحببت، فقال : أو تقبل ؟ قال: نعم، قال : تُردّ على من أُخذت منه ظُلماً..

(١) .. انظر أشمل، تعليلٍ لمرام الآية في قول (قتادة) رحمه الله- ص ١٥٣.

فبكى مسلمة ثم قال : يرحمك الله لقد " ألنت " منّا قلوباً قاسية ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكرى)[1].

ثم لا أنسى لأستاذنا (د. صالح اللحيدان) - هذا الكريم اللطيف - لا يختم مكالمته معي إلا بجملة تدل على ذاته الجميلة من الداخل، بقول: (فرصة طيبة يا أبو زياد)، ثم يُردف لما يُحفّزني[2]: (نفع الله بك)[3]، مما يجعلني أُغالب نفسي إذا ما أثبطها تكاسلي .. بهذا الرفد الكريم.

فيما يبث أحدهم (عنواناً) لحياته :

إنمـــــا للنــــاس منّــــا (حُســـن خُـلـــقٍ) ومِـــزاح

بل وقُل (إنشراح) ، لعل الأخر ينشرح إليك -عندها- صدره، ويقبل منك نصحك المورود من حبك (له).

وأعود لمقولة عمر - فيما تقدم- والتي أجد فيها غزيراً مما أُريد بثّه، وأنعم بها والله، فكم(**كلمة**) .. **بها كلام قد يُؤم**[4].

أو القصد من هذه، ليس ليونة القلب[5] التي أحدثها جواب عمر لمسلمة! - رحمهما الله-

لكن في كيفية صرف العبد من النهم وراء الدنيا طلباً لما عند الله.. في الأُخرى.

---

(١) الكامل في الأدب ١/ ١٥٠ .

(٢) حتى قال لي أحد المرات - وكررها- : (لم يمت الشيخ علي)، يعني أبي - رحمه الله- ، وكم علّمت بي (هذه الجملة).. عندها ، وأثقلت على (كاهلي) المهمّة.

(٣) هذا دأب الخيرين. بل كان ابن باز يصدر رسائله بـ: (إلى فلان وفقه الله إلى ما يحبه الله ويرضاه).

(٤) .. كما قال ابن مالك - في (أَلَفيّته)-

(٥) فإن لهذا بحث آخر ، داخل في (قساوة القلوب) وكيفية .. تليينها؟- وانظر هامش (١) ص٩٣-

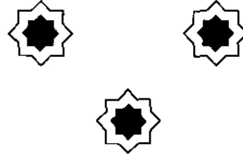
ثم إن بكاء (مسلمَة) ابن عمّه.. فيما تقدم، لها مرمى يُقرّبه إيجازٌ للعلامة (علي الطنطاوي) – رحمه الله - :

(كل نفسٍ لها باب وإليها طريق، ولم يخلق الله نفساً مغلقةً.. ، لا باب لها!

فهذا يُدخل إليه من باب التعظيم[1]، وهذا من باب الجاه[2]، هذا من باب العاطفة، وهذا من باب المنطق، وهذا من باب التخويف والتهديد، وهذا يزعجه التطويل ويحب الاختصار، وهذا يؤثر الشرح والبسط والبيان.

.. ولابد لك قبل أن تكلّم أحداً .. أن تعرف من أي باب من هذه الأبواب تدخل عليه) [3].

لكن هذا "المقصد" لا تطرقه إلا مع من تأنس إليه أن الباب الذي ولجت منه.. يُناسبه!، كالأديب الذي حُسن البيان يأسره – مثلاً- .. إلخ.



(١) .. فهناك من عتاولة المشركين .. من أُدخلت عليهم الدعوة، أو (أُلِّفت) قلوبهم.. للإسلام بالمال ! فلا عجب أن يكون هذا –المقصد- كـ أحد مصارف ، أو أصناف مستحقيّ الزكاة، .. وقد قال ﷺ للأنصار- رضي الله عنهم- : { .. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا **تألفت** بها قوماً يسلموا..} مسند أحمد.

(٢) بل في حديث { من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن} جليّاً في هذا الباب.

(٣) من كتابه "صور وخواطر".

ثالثاً: و.. كما أسهبت – فيما تقدم، وأكدته في ص ٢٧- من أن اللين كالواجب في التعامل.. والتخاطب، ولإن كان التخاطب قد اتضح جلياً، فإن أنصع مقاصده في التعامل آتٍ :

بحُسن الأداء، وحُسن الطلب، وكذا طريقة تقديمك للطلب.. حتى بلغ ديننا: { إذا ذبحتم، فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته..} الحديث، لأن على المسلم أن يمتثل دائماً أدب ديننا، كما في الحديث: { إن الله يحب العبد سمحا إذا قضى سمحا إذا اقتضى} وأيضاً حديث:{ .. ومن كفّ غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة...} [1]،و:{ من ابتلع جُرعة..}، وسواها من النصوص- التي يوجزها .. { خالق الناس بخلق حسن} - الدالة على ذلك، ولا أحسب هذا المقام يحصرها، .. فضلاً عن أن يأتي على عدّها.

ويجمع المعنى الحديث : { أتدرون من المفلس}، قالوا : المفلس منّا من ليس عنده دينار ولا درهم! ، لكن ديننا ينظر إلى المقصد الأسمى لهذه المفردة، بتعريفه ﷺ : { المفلس من يأتي يوم القيامة، بحسنات كالجبال[2]..} الحديث.

---

(١) انظر صحيح الجامع ١٧٦-

(٢) من قاعدة قعّدها الأصوليون : (الدين المعاملة)، والمعنى :

أي : لا يأتي صاحب الأعمال (كالجبال) .. فتذهب عليه حسنات ما قدم (تسديداً)..

لمن/ تطاول عليهم من خلال تعامله أو حتى غيبته ونميمته.. الخ، أو.. طالهم من صنيعه.. ما طالهم..!

.. وخُذ (صورة) في التعامل .. مما نما إلى مداركي: أن لو طبّقنا حديثاً واحداً ، لربما استغنينا عن ٩٠٪ من نظام المرور، وقد يتعجب أحدنا من هذا؟! .

لكن لا عجب البتة إذا ما تمعنّا الحديث: { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه} ، بل أحسبه كافٍ.. حال التطبيق له بحذافيره، ليس شكلاً ، أو تمثّل -به- عن فضائل ديننا باللسان فقط!

وشرح ما تقدم: أن للين درجة أعلى، حين يكون في التعامل ، .. فهو صفة أهل الخير، الذين يُريدون – بالفعل- : كسب الآخرين، لا (عتابهم).. فحسب!

وإنـــــي وإن آذيــــتني وعققــــتني لمُحتمــلٌ مــا جــاءني منــك صــابر[1]

فـ هذا الرد[2] الرائع الذي قاله (ابن حزم)، حريٌّ بنا أن نقتدي به، ونعفّ عن الرد، فكان نظم هذا (العالِم) مليئا بالحكمة، وبعيداً عن الغفلة، ولا عجب!

فهو الـ (فقيه) الحاذق، وأدب نبيه ﷺ[3] كذلك، حيث قال :

" سمعتُ وأطعتُ لقوله تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ[4] ﴾ [الأعراف : ١٩٩]، وسلّمت وانقدتُ لحديثه عليه الصلاة والسلام {صِل مَن قطعك، واعف عمن ظلمك} ، ورضيت بقول الحُكماء: (كفاك انتصاراً ممن تعرض لأذاك إعراضك عنه) "!

---

(١) ولأن كان البعض يذعن بالإفحاش بالكلمات- إذا ما صمتَّ- .. فلا ضير، فإن سكوتك(*): قاتله!- (*) كما سيأتي لها بسطاً ص١٤٠- لكن..، وقد نُسب للمتنبي :

لو كل (...) عوى ألقمته حجراً لأصبح الحجر مثقال بدينــــار

(٢) مع التنبيه: أن هذا الأدب.. يلزم مع مِن تطمع منه قبول الحق، حال لزومك الصبر.. معه، و.. إلخ.

(٣) الذي قال مولاه.. فيه وقد تقدم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

(٤) .. فيما يكفي أولئك مثلبةً(*)، أن اللّه نعتهم هناً بـ (الجاهلين)! - كما في مطلع .. ص١٠٢-
- (*) والمثلبة .. نقيض (المنقبة)-

أجل، ألم يقرّب المتنبي هذا المعنى أنه قد (رضي).. من (الغنيمة) بالإياب

أي : يكفيني[1] من مُهاتراتهم: السلامة، من تبعات ما قد تفيضُ به عليّ حماقاتهم- فكم ممن سبقك.. قد جارى أُولئك ظناً أنه ربما يكفّهم[2] عن الولوغ بذلك، فكان (عَاقِبَةُ أمره) – معهم- خُسْراً!

بسبب بسيط – لو أعمل صاحبنا عقله- : أنهم ليس لديهم ما يخسرونه، وقد خسروا- من قبل- قدرهم عند الله، ومن ثمّ لدى عباده[3]!، ألم يبدها (لهم) الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح، فاصنع ما تشاء

.. فلا ضير من أن تُقابل السيئة بالحسنة، ولا تُحسب عندها –عليك- أنها خسارة أبداً في هذا..

وقد قال د. بلير: من أنّه (لا يقيم الانتقام إلا في العقول الصغيرة) [4].. وهي: تلك التي .. لا ترى أبعد من "أرنبة" أنف صاحبها!

أيضاً أن يكون التسامح والتجاوز لاسيما عن الأقارب[5].. ديدناً لنا، ومسلكاً لتعاملنا، فـ.. فيه **تتألف القلوب**، وتجتمع الألباب لفعل الخير، والسير في طريق الفلاح.

---

(١) قال أحد الشعراء :

يتعرضني اللئيمُ، فأمضي كأني ما سمعت ولا رأيتُ

وقال آخر :

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنيني

(٢) .. أو حتى يأخذهم الخجل (إذا ما تبيّن لهم أن الحق معك..)!

(٣) من حديث { إذا لم تستح، فاصنع ما شئت}.

(٤) حتى مع شذرات المخالفين (منهم)، أو فلتات المناوشين!

(٥) .. كما قال معن أبن أوسٍ- وقد تقدم .. ص٩٢.

فهـذا – لعمـري – .. أجـلُّ (خصـال) الصـالحين مقابـل مـا يلقـوا في ذلك.

بل إنهم – أي: الصالحين – ما بلغوا (منزلة) ما بلغوا.. إلا بذاك الصنيع[1]، فقط: ﴿إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠] ثم قال – بشرىً له –: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ٢١]، وهاك تنفيسٌ أكبر..

أوخذ تنفيساً، فقد كتبت الداعية ساره الدوسري – عن هذا الإنسان –:

(خُلق من ماء مهين حقير، ثم أتى إلى هذه الدنيا بجسم ضعيف صغير لا يستطيع دفع شر ولا جلب خير.. لنفسه، ثم كبر واشتد عوده وفعل ما يحلو له من الخير أو الشر، ثم عاد في نهاية المطاف إلى الضعف وقلة الحيلة.

نعم.. هكذا أنت يا ابن آدم.. هذه مراحل حياتك التي سوف تنتهي بك إلى الموت وقبر مظلم لا أنيس لك فيه إلا عملك الذي قدمت في هذه الزائلة.

فلماذا تغضب وتضيق ذرعاً حينما يجحد معروفك، وينسى موقفك الجميل وتُذم من قِبل مَن قدمت له العون وتُقابَل بالسيئة عند إسدائك الحسنة، وتظل تسأل نفسك: ما الذي فعلته حتى أُجازى بكل هذا الظلم؟!)..

فـ (درجة الإخلاص) .. فيها الخلاص – من هذه الحيّرة! –

(١) انظر جلاءً.. في كتاب (أخلاق العلماء) لأبي بكر الأجري.

.. وإتمامـاً لحـديث تقـدم: { .. مـن كـفّ غضبه سـتر الله عورتـه ومـن كظـم غيظاً ولو شـاء أن يمضيه أمضـاه ، مـلأ الله قلبـه رضـاً يـوم القيامـة ، ومـن مشـى مـع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتهـا لـه، أثبت الله قدمه يوم تـزل الأقـدام، وأن سـوء الخُلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل} صدق من أعطي جوامع الكلم ﷺ .



رابعاً.. : كما.. ولا غرابة أن يكون (اللين) من أعظم مناحي الخير، والبرّ ، لأنه (مقام) التمحيص للذات بالفعل، ويكفي أن فيه كشفٌ[1] عن سرائر القدرات، قال الفرزدق:

لكل إمرء نفسان، نفسٌ كريمةٌ ... وأُخرى يعصيها الفتى أو يطيعها

ونفسك من نفسيك[2] تشفع للندى ... إذا قلّ من أحرارهنّ شفيعها

والله يُقسم بـ ﴿النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة : ٢] التي تلوم دائماً صاحبها وتُعاتبه على مواضع تقصيره، فضلاً عنَ تفريطه، بل هي (تلك) التي تُحاسب فتعذّر، ولا تعذر ! ، قال عمر رضي الله عنه :

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا..) الخ.

ثم.. و قال أحدهم .. حين سمع من دعا علىٍ من ظلمه بـ : (الدعاء حق للمظلوم موفور، لكن ليتك لم تفعل[3] فيعظم أجرك غداً، والله جل وعلا يأخذ للمُساء إليه ولو لم يدع على من أساء إليه **لتمام عدله** سبحانه وتعالى بين خلقه)- انظر ملياً في تفسير سورة يوسف[4]- ، فما أحسن هذه (الدعوة):

تسامح، ولا تستوفِ حقّك كلّه ... وابق، فلم يستقص قطُّ كريم

.. وأقرب مثال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله- والذي لم يدعُ أبداً.. على من عذّبه (في محنة خلق القرآن).

---

(١) كما قال الشاعر :
ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ ، وإن خالها تخفى على الناس.. تُعلم
(٢) يقصد قوله تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس : ٧- ٨]
(٣) .. وإن كان يصدر تنفيساً في لكن.. انظر : (ثالثا) ص١٥٨-
(٤) ألم يقل أخوته ﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف : ٩١] ، وهو (عليه السلام) لم يدع عليهم- لكنَّ هذا (عدل) الله-

خامســـاً: .. لا عجبٌ مطلقا أن يحوز صاحب هذا الصنيع أو ينال ما جاء في الحديث : { تبسّمك[1] في وجه أخيك صدقة }رواه البخاري، وغالب ما يأتي الابتسام من أهل التواضع، الأف ..

(تواضـع).. تكـن كـالنجم لاح لنـاظر   علــى صــفحات المــاء وهــو رفيــع

قال الإمام ابن عينيه : (.. والبشاشة مصيدة المودة، والبر .. شيء هين، وجه طليق وكلام لين) [2]!، في المقابل قال القاسمي – رحمه الله- :

(إياك، وما يُستقبح من الكلام، فإنه يُنفِّر عنك الكرام، ويؤثب عليك اللئام).

وإن حلفَتْ، فلن أحنث..، أن اللين، إن صحبه (بشاشةً) صِدْت به كل القلوب، أوجز عن هذا .. الشاعر[3] :

إنـي لتطـربني (الخـلال الكريمـة) [4]   طــرب الغريــب بأوبــة وتــلاق

ويهزنـــي ذكـــر المـــروءة والنـــدى   بــين الشــمائل .. هــزّة المشــتاق

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ثم ختم بـ ﴿ واللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] - جعلنا الله وإياكم منهم- ، قال

---

(١) بل ذُكر أن الإبتسامة – أو الضحك- يتحرك به ١٩ من أعضاء الجسد، فيما الغضب لا يُحرّك سوى بضعةٍ من الأعضاء- مع ما يصحبه من أكلٍ للقلب، وامتعاض أو (داءٌ) يُذيب الكبد!-

(٢) فيض القدير ٣/٢٢٦.

(٣) أبيات لحافظ إبراهيم – رحمه الله- ، لا أملّ من تكرارها.. أو كثرة الاستشهاد بها..

(٤) وأحسب أنني بكتابي عن والدي - يرحمه الله : (هذا أبي) - قد أتيتُ على عرضٍ (شافٍ) لهذه المعاني السامية.. بما يكفي.

رجل لأبي بكر: لأشتمنّك شتيمة تدخل معك في قبرك! قال أبو بكر (معك أنت.. لا معي) ولم يعنفه .. ابداً!- وقال رجل لسالم بن عبدالله بن عمر (التابعي الجليل): إنك رجل سوء، فأجابه (ما عرفني أحدٌ إلا أنت)! وبمناسبة الآية/

رُوي عن أحد الخلفاء، أنه طلب ماء، فجلب إليه ماءً ساخناً، ثم قال اسكبه عليّ.. ولم يدرِ أن الماء ساخن.. فشتاط غضباً، فقال خادمه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[آل عمران : ١٣٤] قال كظمت غيظي، قال : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[آل عمران : ١٣٤] ، قال : عفوت عنك، قال : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، قال : اذهب .. فأنت حرٌ.

مشهد آخر: كان أعرابي يتبع قيس بن عاصم، ويسبّه، حتى قرب قيس من قريته، فوقف، وقال: (إن كان عندك شيء قُله قبل أن نصل، فإني لا آمن عليك القوم).

فيما على الطرف الأخر – ليستمر الإحسان، ويينعُ ثمره في قلوب أهله- : أن يُقدّر ولو بـ: (الشكر)، قال رسول الله ﷺ : { لا يشكر الله من لا يشكر الناس}[1] ، وأمر عليه الصلاة والسلام لـ { من أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعو له[2] حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه}[3]، فلم يبالغ أبداً ذلك الشاعر:

إذا أنا لم أعرف لذي الفضل فضله ... فلا ضمّني خال ولا عزّني أبُ

(١) انظر نموذج لا يُضاهي .. في قول أو (شهادة) الرسول ﷺ في أبي بكر ﷺ - فيما تقدم- ، ص٨٩ .

(٢) كانت عائشة – رضي الله عنها- تُوصي .. من تُرسل معه الصدقه، إلى الانتظار ليُرهف سمعه لما يدعون به، ثم تدعو لهم بالمثل، وتقول : (نريد أجرنا على الله وحده)- وهذا ديدن المخلصين: لا نبغي وجه أحد، إلا الواحد الأحد.. الفرد الصمد-

(٣) رواه أبو داود والنسائي، .. وقال الشاعر ابن العريض :

اجزيه، أو أثني عليه، وإن من ... أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

سادســاً: قال معاوية رضي الله عنه:

" لـو كـان بيني وبـين النـاس شـعرة مـا انقطعـت، إذا شـدوا رخيـت وإذا أرخـو شددت"(1)، وهذه بها حكمةٌ عجيبةٌ لمن تمعّن بها، (تُهدى) بخاصة اليوم إلى بعض المسـؤولين، الـذين تجـد أحـدهم- ومـن دافـع الحمـاس .. أو محاولـة إثبـات وجودهم- :

نسوا مرماها الجليل، فـ عندما يتولى الواحد منهم منصباً إدارياً (رفيعاً) تجده يـأتي للعمـل، وفي رأسـه العديـد مـن المعـاني الصـعبة والمفـاهيم غـير السـليمة(2) عـن الإدارة، وعن حاجة المراجع لخدمات تلك الإدارة.

هذا إن لم يكن وراء إربة صنيعه ما ورائها، وهنـا يُوجز فقيد التربية معالي الشيخ (حسن آل الشيخ) – يرحمه الله – :

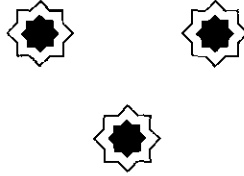
(1) .. حتى اشتهرت هذه (الرواية)(*) بـ : " شعرة معاوية "، وتعليقاً أجلى ، في تقريب لها.. لابن تيمية – في السياسة الشرعية- : (إن أبا بكر رجل لين رقيق يصلح له رجل قوي شديد وهو خالد بن الوليد، وإن عمر قوي شديد يصلح له رجل لين رقيق وهو أبو عبيدة).

(*) وسبق تلك الجملة بالقول (لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني..).

(2) حتى قيل (إن العلاقات الإنسانية، ليست فصل من فصول الإدارة!، بل هي كل الإدارة) – كذا قال أحد عُلماء الإدارة : مولر - ، بل إن (التربة الخصبة) التي ينمو فيها كل تقدم وكل نجاح وكل إنجاز في الحياة هي تربة العلاقات الشخصية.

(قد تبلغ[1] ما تحلم به يوماً، لكن تصرفك[2] هو الذي يحكم بأهليتك لما بلغت، أو تدنيك من منزلته) أيضاً:

المقدرة قد توصلك إلى القمة، لكن الأخلاق وحدها تبقيك هناك وهذا - مع ما فيه.. من التجلية عن المخفي - فهو التمحيص الحقيقي للذات، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾[الصافات: ١٠٦] أي: الاختبار الحقيقي.



(١) إما من خلال الجدّ وراءه، أو الصدق.. لتتسنّمها، أو المحسوبية -التي قد تخدم- في بلوغك لها..!

ومقصدٌ أجلّ: في مرام هذا: أنك إن سيق لك هذا الحظّ، فهنا قد أتتك أكبر الفرص لتثبت أنك أهلٌ له، ثم تتصرّف من خلاله لما يعليك عند المليك - سبحانه- .

(٢) فقد يصل الإنسان بمحض الصدفة(*) إلى موقع مرموق لظروف خارجة عن القياس وهذا يحدث، بل مشاهد (فما تأخر عالمنا الثالث إلا لعدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب)..

فإن أحسن فيما أُوكِل له، قيل: قد أَحسن من تفرّس(**) فيك!

.. وقد تصله بجهدك لكنك تسيىء به، كمن درس الطب وأساء إليه، إما بعمليات مشبوهة، أو بسوء مراسٍ للمهنة.

- (*) الصدفة: هي: ما يحدث من شيء دون سابق ترتيب له-

- (**) انظر ثنايا هامش ٢ ص١٤٥-

سابعـــاً: أرهف (الحماسي) .. لأحد أخلاّئه :

يرحمـــك الله.. مــــن أخـــي ثقـــة　　　لم يــــكُ في صـــفو (ودّه) كـــدر

وآخر .. قال :

ولنـــا في النفـــوس (الطّيبـــات) ودائـــع　　　ودٌّ، وذكـــــرىً، وحُســـــن طبـــائعُ

كما و.. رثى أحدهم – وكثير من الصالحين حمل هذه المناقب – : (نثراً):

" رحمك الله يا شيخنا.. ، لقد أبكيت الناس حيّاً وميتاً، كما.. وَعَظتهم حياً وميتاً!

نعم كم من إنسان وعظته فأنقذته، وكم من حيران دللته، وكم من ضائق وسّعت له.. ، فجزاك الله عنا خير الجزاء ".

إلى أن يقول: "(لن أنسى) مجلسنا العامر وحديثنا الماتع ونقاشنا الشيق".. إلخ.

فكم – بالله– تحلُم .. لتبلغ أمانيك أن يُقال بك .. إن في محياك، (أو) بعد مماتك.. كذلك؟، لديك (وحدك) الجواب– أي : **بما تترك لدى الآخرين من .. سيرة**– و(شعراً)، فقد رثى عبدالله العسكر.. سماحة العلامة عبدالله بن جبرين – رحمه الله– بـ :

لطفـــاً بنـــا اللـــهم إن مُصـــابنا　　　بالشـــيخ جـــرح في الحشـــايا مـــؤلم

مـــات الـــذي قـــد كـــان بـــدراً ســـاطعاً　　　فُتيـــاه في حلـــك الـــبلاء البلســـم

الحلـــم شـــيمته، .. ولكـــن حينمـــا　　　يُعصـــى الإلـــه فإنمـــا هـــو (ضـــيغم)[1]

(١) .. من أسماء (الأسد)– و(عجز) البيت .. دلالة وافيةً على الأستثناء الآتي ص١٤٩، وما بعدها–

ولا بأس في إطرء نموذج – آخر[1]- / كتب من دُكّت هضاب قلبه على فراق صفيّه " عبد العزيز الخريف" عن العلم (الشيخ عبدالله الراشد) الذي جمع الله له بين الحسنين – **فما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعتا**-

ب : " إن الشحّ لا يجد له مكاناً ولا منفذاً إلى نفسه، فهو سمح في تعامله مع الناس لا يحاول الضغط على المعسرين بل قد يسامح في ذلك مراراً عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر يقال أنه قد تنازل عن أكثر من مليون ريال عن ورثة شخص مدين له قد وارته التُّرب وسبقه إلى مراقد الراحلين.. ابتغاء مرضاة المولى وتطييباً لخاطر ورثته وأبنائه.. ، وغير ذلك من جزيل هباته وعطاياه الباذخة.. ، بعد ما أفاء الله عليه من سعة الرزق ووفرة المال، فهو يقوم بشراء عشرات المساكن الممتازة النظيفة من ماله الخالص للأيتام والأرامل، ومتوسطي الحال من أقاربه وغيرهم من الضعفاء مع تزويدهم بأشياء أخرى من مستلزمات الحياة.. ونقول الآن بعد رحيله:

مَــن للضـــعيف يعينـــه إن أتـــى ... مستصـــرخاً يـــا غـــوث كـــل ضـــعيف
مَـــن لليتـــامى والأرامـــل كافـــلُ ... يرجونـــــه في شـــتوة ومصـــــيف"

---

(١) نذكر النماذج لا تسميناً للطرح، لكن لتصحو قلوب تعلقت بالدنيا، أو ظنّت أن تلك انبجست فقط: بعهد ولّى مع أولئك فيما أُضمرت (بعهدنا) لا والله، فهم لا زالوا بالفعل (بيننا).. ، كما قال محمد بن عثيمين:

قــوم هــمّ (زينـــة الــدنيا) وبهجتهـــا ... وهـــم لهـــا عِمـــد ممـــدوة الطنـــبِ

..بل إن أثرو (سيرة والدي (يرحمه الله) في مجتمعنا ، أجلى نموذج..!

دلالة ما ذكرنا : (أن السيرة الطيبة هي أجمل ما يتركه الإنسان في قلوب[1] الآخرين) ..

وهذا د. زاهر الألمعي يرثي رائد العلم- والتربية- في جازان الشيخ "حسين العماري" بمطلع مُشَبع:

عجـــزت لهـــول وفاتـــك الأوزانُ ... وتقاصـــرت دون البيـــان لســـان

وتنهَّـــدت القلـــوب توجعـــاً ... عصـــفت بهـــا الآهـــات والأحـــزانُ

لمـــا نُعيـــت إلى الأحبـــة أقبلـــتْ ... أفـــواجهم تنتابهـــا الأشـــجانُ



(١) فما أجملها.. وأبلغها من كلمة.

ثامنــاً: ثم .. أن (ملاك) ذلك.. بالتالي :

لإن كـان الهوى والنفس والدنيا .. والشيطان (كلهم) أعداء هـذا المخلوق الضعيف: (الإنسان)!

فإنه .. ومع هذا ليس من المشروع إلا الاستعاذة بالله منهم، بخاصة الأخير الشيطان، لا اللعن! فالاستعاذة منه هي : (إذلالٌ له) ، كذا أوجز بعض أهل التفسير- مع ما تقدم ص ٦٥-

أما ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ[1]﴾ [البقرة : ١٥٩] فـ: " هي من باب المجازة من جنس العمل[2]، كما أن معلّم الناس الخير تُصلّي عليه حتى الحيتان بالبحر"[3]، ومراد الحديث: { الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، سوى ذكر الله وما والآه} .. فقد علّق عليه بعض أهل العلم: (.. لأنه يكثر فيها أسباب اللعان) انظر في مطلع ص ٣٤-

.. وخُذ هذه : (روينا عن المزني قال: سمعني الشافعي يوماً وأنا أقول : فلان كذاب[4].

---

(١) فقد لعن الله أصحاب السبت ولعنهم رسوله بقوله: {قاتل الله اليهود حُرّمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها} ، أي لأنهم (احتالوا) .

(٢) وقد قال سبحانه ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة : ٢٥٨] أي إن الظلم حائل عن الهداية!

(٣) كذا قال العلامة: السعدي في تفسيره للآية - .. بإيجاز-

(٤) مع مراعاة مرامي بعض الألفاظ في مناطق.. ما قد يُقبل، فأهل الحجاز- مثلاً- يقولوا: (كذبت في موضع أخطأت..) — وهنا : فلا يتعجّل المرء في الرد، حتى يستدلّ على القصد- .
وأذكر أحدهم يذمُّ (عتباً) على المتبي وصفه لمحبوبه: (**الذّ من التوحيد**) بل ذهب إلى القول في معتقده!.
وما علِم أن (التوحيد) مسمّىً لإحد أنواع (التمر) المُحلاّ.. في العراق.

فقال : يا أبا إبراهيم اكْسُ ألفاظَك أَحْسَنَها ، لا تقل فلان كذاب ، ولكن قل: حديثه ليس بشيء) [(١)].

.. جاء عن السلف قولهم (في المعاريض مندُوحةٌ عن الكذب)، وعمر رضي الله عنه قال : (أمَا في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب) وكذا التورية ، كما في قوله ﷺ: { نحن قوم من ماء..} وكان إبراهيم النخعي إذا طلبه إنسانٌ لا يحب لقاءه ، خرجت الجارية ، فقالت : (أطلبوه في المسجد) [(٢)].

.. لكن يعلم أن جواز التعريض مشروط بالحاجة إليه عند الجواب ، وليس على إطلاقه..

وإن ذهب – من ذهب- إلى وقف هذا على (الذوق) [(٣)] في الكلام، فإما أن يلبّسها أحسن الألبسة ، أو يصوغها بإسلوبٍ [(٤)] سهل النفوذ إلى القلب.

وقد جاء ما يؤيّد في كُتب السير، أن : " زبيدة لامت- زوجها - هارون الرشيد على تقديمه عبدالله (المأمون) دون ولدها محمد (الأمين)، فقال لها: الآن أُريكِ عذري، فدعا ولدها الأمين - وكانت عند الرشيد مساويك - فقال له: يا محمد ما هذه؟ فقال: مساويك.

ودعا المأمون: وقال له: ما هذه يا عبد الله؟ فقال: ضد محاسنك يا أمير المؤمنين، فقالت زبيدة: الآن بان لي عُذرك"!

---

(١) كتاب "فتح المغيث" للسخاوي- رحمه الله- (١- ٣٧١).

(٢) نزهة الفضلاء ٢/٥٤٩ .

ف (لغة) الحياة وإن فهمنا لفظها مشحونة بالرمز والإيحـــاء

(٣) انظر .. في كتاب (الذوق سلوك الروح) للأستاذ عباس السيسي.

(٤) أي : قد يكون المعنى المراد إيصاله واحداً ، .. لكن يكون ما بين تعبير وتعبير كما بين ذات الرجع وذات الصدع.

وتعني بذلك أنها عرفت سبب تفضيل الرشيد للمأمون على الأمين، وأن سبب ذلك ما كان عليه المأمون من ذوق، وحسن تلطّف، وجمال عبارة، على حين أن الأمين لم يكن كذلك.

.. ولا عجب ابداً، أن تكون عبارات الإمام أبي عبدالله (البخاري) – رحمه الله رحمة واسعة- في " الجرح والتعديل" على درجة عالية من الأدب، وسمو العبارة، مع أنّ كتابه أصح كتاب بعد كتاب الله – عز وجل- .

فلقد كانت عباراته مضرب المثل في السمو والأدب، كقوله في (المجروح): فيه نظر، تركوه، سكتوا عنه، ونحو ذلك[1].

أجل، .. قال الشاعر:

وإذا هممـــت بباطـــل فاجعـــل مكانـــه: تســـبيحاً

.. وقد استبدل الخليفة – الراشد – عمر بن عبد العزيز السبّ والشتم على المنابر، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ .. الآية [النحل: ٩٠]، وبقيت حسنة (له) [2] إلى اليوم، لأنّه – رحمه الله – سنّها و(ثبتها) له إبن تيمية، ف اقتفى الخُطباء من بعده.. أثرها، أو قولها.



(١) .. مع أنه أي (المجروح) قد يكون من المتعمّدين.. بالقول على الرسول ﷺ ، أو حتى في سوء .. نقله – عمن روى عنه.. -

(٢) .. أكرر: لا زالت حسنة له – إلى يومنا- ، بل إن الله يرشدنا بالدعاء: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]

تاسعـاً:.. أو إضافة/ فقد كان من أدب المتأدبين.. إذا ما أراد أن يُخطىء أحداً ما بداء في ذكر خصاله ، والثناء على جهده، وذاك بالقول:

(فلان لا يُنكر له صنيعه ولا يغفل حقه في هذا المضمار أو جهده..) هكذا يستهلّ الردّ عليه[1] .. إبتداءً، وأدباً، أو يفعل ذلك ولو (إحتياطاً أدبياً)- .. أو تحرّزاً من أن يُوصم نقده الحق، بـ : بالحقد أو الحسد- ، ثم .. وقد قالوا : (لم يعدل معك!، من ذكر مساوئك ولم يذكر حسناتك) .

حتى أنّ رسولنا ﷺ، حين قام "حاطب بن بلتعة".. بإرسال رسولٍ لقريش، ناداه ﷺ وقال له: { ما حملك على هذا..} بل ونهر عمر بن الخطاب حين قال دعني أضرب عنق هذا المنافق بـ { وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، وقال لهم: اذهبوا مغفور لكم} – فلم يُنسيه خطأ صنيعه، قدم.. ما قدّمه للدين- .

.. لماذا؟، لأنه ليس من السهل- كما سيأتي هـ٣ ص١٦٧- أن تكسب (الرجال)، ثم تفرّط بهم على أقرب سقطة!، مع حفظ فضل (من لديه قدم صدقٍ.. قدّمها).. في وقتٌ قلّما مَن بذل فيه.. أو ضحّى!؟ وهكذا كان تعامل الرسول ﷺ، معه.

.. وما تقدم/ يشمل هذا.. المكاتبات والمخاطبات المنبرية أيضاً، والتي (قد) يُلزم[2] أدبياً – على الأقل- البدء بذكر إحسان المردود عليه (مُحاضراً أو مُؤلّفاً.. الخ)، نموذجاً لنا في هذا.. ما قاله ابن تيمية – رحمه الله- :

---

(١) لأن ذاك أدعى لقبول قول الناقد ، من أنه بالفعل ينقد الخطأ ، لا ينقد صاحبه، أو أن في مقصده مجرّد: النقد أو حتى التشهير!

(٢) .. بل إنك إن أردت نقاش أحد أو جداله أو محاورته فلابد أن تعلم علمه ودرجته فتناقشه أو تجادله أو تحاوره بإيراد كافة الطرق – علماً – وأدباً- وأخلاق- ، دون مجرد النقل أو الاستشهاد فقط. واعلم أنك إن لم يتّسم صنيعك بهذه المنقبة.. فأنت –بالغالب- صاحب هوى أو أنك تُريد شيئاً.. خِلاف الذي تنقده!

(أحسن المعتزلة[1] في إدخال كثير من أهل الكتاب الإسلام، واساءوا حين أوقفوهم على الاعتزال)!

ثم.. فقد فسّر رسولنا ﷺ الغيبة بقوله : { أتدري ما الغيبة؟، ذِكرك أخاك بما يكره} ، قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ ، قال : { إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته}[2] البهت هو: الكذب العظيم.

فـ (الغيبة[3]) درجات :

.. فقد تذّمه في شيء فيه، أي أن ما تقوله به يكون وهو فيه! وهو حاضر (فهي مسبّة) لهُ..

وقد تقول بما هو فيه وهو غائب، (فهي غيبة)..

وهي أعظمها: بما ليس فيه وهو غائب (وهذا بهتان عظيم).

الأضافة التي يجب أن ننوّه لها هنا أو التفصيل في هذا:

أنّك ربما تذمّه بما فيه وهو حاضر

وأشدّها: أن بما ليس فيه وهو حاضر

---

(١) وأحسنوا أيضاً بنقض منطق (أرسطو) على يد "عبد الجبار" وغيره.

(٢) قال الشافعي – مصوّراً- للآية ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾ [الحجرات : ١٢] بـ :

وليس الذئب يـأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عياناً

(٣) .. فيما الواجب على المسلم أن يكف (الغيبة) عن نفسه ولا يُعين الشيطان على إخوانه المسلمين عليه!، وذلك بالنأي بنفسه عن مواطن ذم الآخرين له، للحديث { رحمه الله إمرأ كفّ الغيبة عن نفسه}!

رأى عمر ﷺ رجلاً تعدى الأربعين وهو عزباً فقال (لا يترك الزواج بهذا السن إلا عاجز أو فاجر) وعاجز إما مالياً أو جنسياً!

.. أو تذمّه بما فيه وهو غائب

.واشنّعها: أن تذمّه بما ليس فيه وهو غائب

فحقيقة كل واحدة منها تحتاج إلى إيضاح – عنها- لكن لا شك أنه كلما تُغرق يزداد عليك إثم صنيعك، فليس من (بهتّه بما ليس فيه، وهو غائب)، توازي درجة: (من قُلت بما هو فيه وهو حاضر)، وهكذا.

موجز هذا، حين قال معاوية لعمرو بن العاص – رضي الله عنهما- : (حدثني عنك الثقة..) قاطعه عمرو بـ (الثقة لا يحدّث يأمير المؤمنين)!

.. ثم / وإن لقيت على أخيك خلل[1] بما أشتهر عنه أو لا يتوارى عن القوم.. بفعله، وأردت أن توضّح للناس خطأه (المشهور عنه) ، فلا تجعل ذلك فاكهة – للسانك – تتفكه بها في المجالس!

(ختم) : ومن عَظَمة ديننا و (عدله) أنه أبى علينا الدُّعاء على الكافرين بعامة[2]، تعليلاً :

أن منهم من لم تبلغه الرسالة، وإن بلغته فربما بصورة مشوهة –فلم تقم بعد عليهم الحجّة [3] البالغة- ، وكذلك منهم من لم يطلنا منهُ أذىً ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة : ٨] أما سوى هذين الصنفين، أي : من بلغته الدعوة، وقامت عليه الحجة!، ثم كابر، وفاض.. حين

---

(١) أو.. العيب، الخطأ، النقص ، السيئة.. الخ.

(٢) .. وقد نوّه عن هذا الأمر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- .

(٣) .. وهنا فقد يقاسوا.. على أهل (الفترة)، وهم أقوام عاشوا بين نهاية دعوة رسول، وقُبيل .. مبعث رسول آخر- مما ليس هذا مكان تفصيله-

أعان ضد نُصرة أهل الإسلام .. فذاك داخلٌ في نصوص الوعيد والتهديد- عموماً - ، مما لا يحتاج أن تدعو عليه أو بما معناه -- قال ابن تيمية- ، وهذا الصنف يدخل معه نوع (متعدي).. وإن كان مسلماً! فعليه هذا الدعاء (الجامع): " يارب الأنام.. أجرنا من جور الحكام، وأذى الظلّام، وتعدّي أبناء الحرام".



عاشـــراً: ليُعلم أن هناك أشياء تحتاج إلى ترويضٍ للنفس وتوطينها[1] عليها، بل لا أتجاوز إن قلت تعلّمٌ لها- كما في أبعادٌ لهذا، ختم ص٢٤- .. فلا تأتي غالب الصفات عفواً! وكيف تأتي هكذا؟، وقد قال ﷺ :

{ إنما الحلم بالتحلّم، والصبر بالتصبّر}[2] – وقس على ذلك باقي الصفات- ، وعلى هذا :

فإن مجاهدة النفس – بتعويدها على سعة الصدر والحلم – أشدُّ من مجاهدة العدو – كما أشار إلى ذلك (ابن بطّال) - ، في إشارة جليلة أن الإنسان يحتاج إلى قدرٍ كبير من العزيمة والصبر.

هذا، وقد دلت الدَّراسات النفسية على أن الإنسان يستطيع التخلص من الضيق، والغضب بتعويد نفسه على الهدوء[3]، واستخدام الكلمات الطيبة في أحاديثه العامة والخاصة، بل إن الكلمات الجميلة في نظرهم من أهم عوامل تكوين صفة الحلم والأناة عند الإنسان.

---

(١) من (الوطن) وهي مقام السكنى، أو ما يجب أن يسكن في ذاتك، كما تستكن به .. وتستكين إليه.

(٢) حسّنه الألباني ، في (السلسلة الصحيحة).

وهنا معنىً في (الصبر)، كأهم أو أوّل معولٍ لكسر العادات السيئة أو الخاطئة :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابـــر

ومزاياه سبق الحديث عنها ص٨٣ .

(٣) وقد ورد في السنّة أن رسول اللّه ﷺ رأى رجلاً يغتسل بلا إزار، فصعد (بسكونٍ) المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال :

{إن اللّه عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر}.

نثبت هذا، لأن ما كلّ ذي طبع يمكن بَلع طبعه!، وكذلك (بنفس القياس):

مَا كل من صافيته .. لك قد صفا!

ويرفد هذا المعنى أن/ كل إنسان يتمنّى حوز الصفات الحُسنى كلها!

لكنَّ غلبة الهوى أو الطبع، أو قُل (قلّة) التحمل، وظهور الصفات الباطنة..

- أمام أي موقف عصيب- هو الفيصل بين مُناه ، وبين ما يبدو منه!، لأن الطبع بالغالب هو : المتحكِّم !

فكيف لصاحبه هنا.. أن يُغالب – هذا الطبع- بلا (تعوّدٍ) أو حتى ولو في محاولة لأطر النفس على.. أو إلى سلك (صالحها) من سبيلٍ، والحديث – هذا- يُدللّ :

{ لا يكون أحدكم إمعة[1] إن أحسن الناس أحسن، وإن أساؤوا، أساء، ولكن وطِّنوا[2] أنفسكم إن أحسنوا أن تُحسنوا وإن أخطأوا أن لا تخطئوا معهم}.

فالتعوّد يحتاج وقتاً وجُهداً هائلين- أي: دُربة على ذلك.. مع كل تجديد يُحدث أمراً في صاحبه- ، ولهذا يشبه البوصيري – رحمه الله- :

---

(١) سهل الانقياد، خفيف العقل، يُذهب به.. ويجيء!

(٢) أي ربوها .. عوِّدوها .. غالبوها ، أو : اجعلوا من تلك الصفات لها (وطن)- كما تقدم في الصفحة السابقة: هامش (١).

.. بل يُعزي أحد المفكرين إنّك (إذا أردت أن تنجح فعليك بمضاعفة معدلات الفشل)

- فهذا " أديسون".. جرب أكثر من ٤٠٠ طريقة ، قبل إضاءة المصباح!-

و(النفس) كالطفل، إن تُهمله شبّ على ... حــب الرضــاعة، وإن تفطمــه ينفطمــي

أي تنهاها عن المضي خلف أهوائها، فتسوقها أنت بعقلك، لا تسوقك - هي- إلى شهواتها، وملذاتها.. الخ، لأن ﴿النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[يوسف: ٥٣].

وما ذاك إلا أن - وهذا مما اتفق عليه علماء النفس- : (السلوك) ينطلق من معتقد، وبداية التغيير يبدأ من تغيير معتقداتك، والبداية هنا، أولاً أن تثق بنفسك، ثم أو بعدها سيطرأ تغيّر على سلوكك.

يقول أحد الخطباء: وددت أنْ أُجلد سبعة سياط على ألا أقف، ثم وددت أن أُجلد سبعين سوطاً على ألا أتوقّف!!

وذاك -داعية- .. أن على المسلم أن يطلب المعالي من الأمور، ويسعى لبلوغ هذا المقام بنفسه[1]، وهذا يحتاج ابتداءً تربيةً صالحة[2]، .. مع جهادٍ للنفس: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت: ٦٩]، وما يأتي الجهاد إلا:

.. بالصبر والاحتساب وصدقٍ في التوكّل، ثم -بعدها- : أطر النفس (أي: مُغالبتها على الأهواء عموماً)، وتجلية لها، أو تجديد..

فـ (جدّد)[3] قلبك، وصحح علاقاتك، وأرح فؤادك - يقول البهاء زهير:

مـــن اليــــوم تعارفنـــا ... ونطـــوي مـــا جـــرى منّـــا

---

(١) .. وذاك بالصبر، قال المقنّع الكندي- عن (ذوي رحمه) - :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

في رفعٍ للهمة من أن تُنازلهم.. أو تنزل معهم إلى مستنقع غلبة الهوى، أو الانتصار للنفس..!

(٢) .. وأبو العلاء المعري.. قال (معتذراً) عن تخلخله فكرياً: **هذا ما جناه أبي عليّ!**

(٣) .. انظر ختم ص١٦٢، وص١٦٣.

ولا كـــــــــــان ولا صـــــــــــار   ولا قُلـــــــــــتم ولا قُلنـــــــــــا
وإن كـــــــــــان ولابـــــــــــد[1]   مـــن العُتبـــى فـــ (بالحُســـنى)-

وأيضاً: مع استحضارٍ للحديث : { لإن تُخالط[2] الناس وتصبر على أذاهم، خير من أن تعتزلهم}، ثم تمعّن بما آثره (علاجاً) أحد الصحابة- رضي الله عنهم- في الجمع بين مخالطة الناس، وبين تحمّل ما يأتي منهم، فعن قتادة ما رواه معمر عنه قال : فذكره موقوفاً عليه مختصراً بلفظ:

{ أيعجز أحدكم أن يكون كأبي.. أو مثل أبي ضمضم-شك ابن عبيد- كان إذا أصبح قال : اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك} أخرجه أبو داود - وإسناده صحيح إلى قتادة-

ولعل هذا الأمر أكثر ما يُلزم: - علاجاً- في: عدم الخوض مع كل خائض، حتى ذهب بعض العقلاء إلى أن : (الصمت .. يكون أحياناً أبلغ جواب).

.. وللحديث الجامع : { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت} ، قال قس بن ساعدة- خطيب العرب- : (وجدت أن للإنسان أكثر من ثمانية آلاف عيب، فوجدت خصلة إن استعملها الإنسان سترته، وهي حفظ اللسان)..

---

(١) أي لابدّ.. مما ليس منه بدّ.

(٢) وقد تكلّم العلماء كثيراً في موضوع الخلطة، خلص بعضهم إلى إن كانت المصلحة راجحة، فإن الخلطة مع الصبر أولى – انظر في ص٥٨- ، ولمن ودّ مزيداً في بحث هذا في كتاب (بدائع وفوائد) للمحقق ابن القيم.

وهذا دافعه- مع المصلحة- ، أنه جانب كبير من الفطنة والدراية بأحوال الناس دقيقها وجليلها، وقد تقدم -معنا- :

ليس الغبي بسيد في قومه   لكن سيد قومه التغابي

فـ كم مُدح إنسان في ترك حقه، في المقابل كم ذُكر آخر في أخذ حقه؟، .. لا شكّ الجواب معروف! ، ،لا يحتاج عنه إنباءً ..

فهذه أسباب أحسبها مُبلّغة بإذن الله .. للمقصد.

شاهد: حين وطأ عمر بن عبد العزيز قدم أحدهم- دون قصدٍ - .. فزّ الرجل قائلاً: أأنت حمار!.

فقال له الخليفة لا، ومضى في سبيله، فقيل له: لقد شتمك الرجل يا أمير المؤمنين، قال: لا! هو فقط سألني: أأَنت حمار؟، فأجبته بالنفي..

فحوّلها –رحمه الله- من جملة خبرية[1].. إلى سؤال، وهذا يُحسب لهذا العلم والخليفة الراشد –رحمه الله- .

قـــالوا ســـكت، قلـــت لهـــم   إن الكـــلام لبـــاب الشـــرِّ مفتـــاح[2]

فالسكوت (مع) التغافل- قدر الإمكان- غنيمة لك، مع صنفٍ ممن هم كأولئك.

---

(١) وهنا (فاصل) فإن قيلت كـ (جملة خبرية) فبالتأكيد أن هذا يُغضب، لكن نحوّلها وأمثالها.. إلى استفهام لا أقول نخدع أنفسنا، ولكن (فرصة): أن نُربّيها على كبت جماح الإنتقام لديها، بمثل هذا الخداع لها كـ (الكذب الأبيض)، فنتخلّص بعد.. من تبعاتها- على النفس- ثم.. فهل تعلم.. أنه يمر على المرء ما يقارب سبعة آلاف فكرة في الساعة، لكن للأسف أن ٨٠٪ منها سلبية، فكم –بالله- نتبع من تلكم! لو أعطينا هوى (النَّفس) .. فُرصة؟.

(٢) الإمام الشافعي- وقد تقدم (حافزاً) ص٦٦-

كما أن في (السكوت) مزية لمن لا يُدرك الأبعاد الحقيقية له، أو لمحاسنه (الخفية).. فيقع العيي – من حيث لا يدري!، لأن وقد تقدم عن أبعاد هذا ص٢٨ أن:

(عقل المرء خبيء لسانه)- قال زهير :

وكـأن تـرى لـك مـن صـامت معجـبُ زيادتـــه أو نقصـــه في الــــتكلّم

وابن عباس ﷺ قال : (العقل ثُلثاه في التغافل)، وقيل ما هو أكثر: (ثُلث الحِكمة فطنة، وثُلثاها تغافل)- .. أو (عظّموا[1] أنفسكم بالتغافل)- ..

وذاك في عدم الفضول في الطلب[2]، أو تطلب من الآخر ما ليس عندك أو لا تحوزه، فالكمال لِلهِ.. فلا أحد (كامل) ، وقد قال الحكيم:

ومــن يتبــع جاهــداً كــل عثــرةٍ يجدها، ولا يسلم لـه الـدهر صاحبه[3]

لكن هنا تنبيه: هل (الصمت) حلٌّ أو (مطلبٌ) دائم؟، .. لا!

لأن هناك من يجب لجم فيه – انظر مطلع ص٥٢- ، لالأنه (قحٌّ) وقد يتطاول بألفاظه، أبداً..

ولكن لأنه –أو للأسف- لديه شريحة ممن تسمع[4] لهُ، فتظن السكوت عما تعرّض له إن لم يكن موافقة له، فهو (نوعٌ) من القبول لما يقول، أو له شواهد وتجيزه..

---

(١) بقدر الإمكان، فهو (علاج) لك .. أنت – قبل غيرك-

(٢) .. كـ ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[المائدة : ١٠١]، وفي الحديث : نهرٌ عن الأستقصاء .. { كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال..}.

(٣) حتى يقول الشاعر بشار بن برد:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك، لم تلق الذي لا تعاتبه

(٤) كما قال تعالى : ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة : ٤٧] .

فمثل (حال) هذا الجواب عليه أولى[1] من السكوت – لأن الساكت (عند إذ) مذموم فعل صاحبه – فقد يذهب الفهم إلى أن سكوتك إقرارٌ أو تواطيء-

وقد كان النبي ﷺ لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة، لينزه سمعته عن ظنون الريبة التي قد يقذفها الشيطان في قلوب أصحابه! ويتأكّد هذا إن كان في مشهد شبهة، صادفت ظرفاً ضيقاً، لا يتبين فيه الحق جلياً.. لأن (سكوته) ﷺ عن أمر يحدث أمامه هو (إقرار) به، أو بإباحته، حتى قسّموا الإجماع- المصدر الثالث من مصادر التشريع- إلى إجماعٌ (قولي)، وإجماع سكوتي- .. أي عدم نبذ الفعل-

ثم .. إذا استحضرنا ما للسكوت من إحسان.. كـ (ليس للساكت موقف)! .. فإنه في مواضع يُذّم[2]، كما في الحديث {الساكت عن الحق شيطان أخرس}.

كتب الأستاذ أحمد الجدع: (لفت نظري وأنا أقرأ السيرة للرسول ﷺ، أنه كان حازماً شديد الحزم مع شعراء[3] المشركين، فقد كان عليه السلام يهدر دماء الشعراء لمجرد تعرّضهم ولو مرة وأحدة للإسلام وأهله..).

---

(١) للحديث {من رأى منكم منكراً..} ثم : أن هناك من يدع إشكالٌ ما يحتدم أمامه، ولا يحرّك به ساكنا! – وهذه (سلبية) .. ليس دونها.. دركه!-
ولهذا ذهب أحدهم إلى هذا الأولى بقوله : " لأن بضاعتك (...) ، فإني أعدك أني سوف أعود إلى كل ما كتبته وأرد عليك حتى أفضحك وأكشف جهلك" .
.. أو أتى لإيهام بما فيه إيهامٌ للبسيط وتضليله في تسويق لبضاعة (مُزجاة)!-

(٢) فعمر رضي الله عنه وهو (مطعون) لم يدع(*) نهي عن منكرٍ رآه، كما جاء في البخاري عن عمرو بن ميمون رضي الله عنه: أن شاباً جاء إلى عمر يعوده لما طُعن، فلما أدبر الشاب فإذا إزاره يمس الأرض فقال عمر: ردوا علي الغلام قال (ابن أخي ارفع ازارك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك)..

(*) من اللطيف في هذا : قدم أعرابي قصعة من الثريد لضيف زاره فسأله الضيف: ماذا تسمون هذا الطعام؟ قال الأعرابي : السخين، عاد الضيف وسأله: وماذا تسمونه إذا برد؟ قال : وهل نتركه حتى يبرد!!

(٣) لأن هناك﴿ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾[التوبة : ٤٧]، فالعرب تولي الشعر عناية خاصة، ولأهله من المكانة كما لأثر نظمهم من القدر .. ما يجعله تسيرُ به الركبان، ثم: إنه (إعلام) متنقل، ومكتبة توثيقية.. ستبقي ذكرهم على مر العصور عبر تناقل الشعر وروايته وتوريثه لمن بعدهم!
فكان لابدّ منه ﷺ أن يذبّ عن الدين حماقات أولئك.

ومن مأثور قول الحسن البصري " اترغبون من ذكر الفاجر أذكروه بما فيه يحذره الناس" لأن من نزع جلباب الحياء فلا غيبة له وهذا النمام في قول الحق ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، بل إن عدم القول به ، هو خورٌ يُربى بالمسلم أن يوصم به ، أيضاً –هنا– (الساكت عن قول الحق شيطان أخرس)!

وأيضاً لا أقول أن ديننا قد ندبنا ، بل أمرنا بهذا ، لأنه: (لا يجوز تأخير [(١)] البيان عن وقت الحاجة) ، كما و ذكر الفقهاء أن :

(القاضي العدل يحجر على المُفتي الماجن الذي يُحلّ الحرام) ! ، ونفس القياس على من اشتهر عنه معصية ظاهرة للعيان، يقول الحسن البصري : (اذكروا الفاجر ، ولا تستروا له ، علّ الناس يجتنبوه)!

لكن يقف القول على البيان، والإنكار .. من غير انتصار للنفس، أو مقصد خاص بالذات.

وهذا يكون واجباً.. بحال إن كان يصطاد في الماء العكر، أو يرمى بالكلام، وينوي به (الحيلة) للاصطياد ، أو للتورية!، قال "حافظ إبراهيم" : رحمه الله– :

كـــم عـــالم مـــدّ العلـــوم حبـــائلاً لوقيعـــــة وقطيعـــــة وفـــــراق

وأديـــب قـــوم تســـتحق يمينـــه قطـــع الأنامـــل، أو لظـــى الإحـــراق

وقد الفت من قبلُ.. عليّ ﷺ في قوله : (كلمة حق أُريد بها باطل)!، وهذه إشارة "موجزه[(٢)]" منه ﷺ ، وأجلّ من كل ذلك الحديث: { أخوف ما أخاف على

---

(١) وحين تردد عمر ﷺ عن إقرار محاربة المرتدين، نهره أبو بكر ﷺ بـ : (أخوّارٌ في الإسلام.. مقدام في الجاهلية ، يا عمر)، فعاد وأيّده، ووقف معه.

(٢) .. فالحرّ تكفيه الإشارة، أو الإمائة، أو الكناية، كما قيل: (الكلام لكِ واسمعي يا جارة). فإن من يُعمل عقله، ويفتح مداركه، يكفيه تنبيهات – من بعيد– عن أن يُبكت أو حتى يسكت لما خاض به، أو ما تطاول.. عليه!

أمتي.. مُنافق، عليم[1] اللسان}!، والأمر كذلك ينسحب على من يُريد إضاعة (جوهر) المسألة، هناك من يقاطعون الحديث؛ إما بسؤالٍ أو بحديث آخر، ونبينا ﷺ كان جالساً في مجلس يحدث القوم، فجاءه أعرابي فقال متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: {أين أراه السائل عن الساعة} ؟ قال ها أنا يا رسول الله، قال: {إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة}، قال: كيف إضاعتها؟ قال: {إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة} رواه البخاري، قال ابن حجر رحمه الله- وهو شاهدنا- (يحتمل أنه أخره ليكمل الحديث الذي هو فيه).

بل إن من الرحمة[2] – أن لم يكن بصاحب القول، فعلى الأقل.. بمن يستمع إليه- النهر.. عن التمادي لما ذهب إليه[3]، فإن نوعية (اللين) المطلوبة هنا.. هي:

الشدّة في التقريع[4]، بتلك التي صوّرها الشاعر :

قس.. ليزدجروا، ومن كان راحماً فليقسُ أحياناً على من يرحمُ

(١) وإن كان طالبه- أي العلم- أسما (قدراً).. بعلمه، الذي لم يبلغه .. هكذا؟!

(٢) كما تقدم- شيء منها- في ص٢١.

(٣) لحديث : { انصر أخاك ظالماً أو مظلوما} وحين سأل عن كيف نصرته ظالماً؟، قال ﷺ : {تمنعه عن الظلم}!

(٤)- .. وسيأتي في هامش (١) ص ١٥١.. صورة أوضح-

فـ .. (عساه) عندها يفيق.

إلا إذا انقلب الأمر إلى جدل (عقيم) – وقد تقدم- فهنا يؤثر الصمت:

لأن هناك فرق بين المحاورة ،و بين المهاترة.. التي تأخذ صاحبها[1] إلى نحوٍ غائر، كما بيّن سبحانه و تعالى –عن فئة- تأخذها ﴿الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾[2] [البقرة : ٢٠٦]!

.. أو حين يتضح للعامة مرام القائل.. وظهرت لهم حبائله، فهنا السكوت أولى له، أي على نحو ما فعله أبو حنيفة – رحمه الله- : (آن لأبي حنيفة أن يمدّ، قدمه)[3]!

ثم..، وإن رُزقت من يكفك مؤونة الدفاع عنكِ، فلا تُبكِّته، فلعلها كرامة والتي أشرتُ لها ص١٤٤- ، وقد قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحج : ٣٨] وليكن لسان حالك إن استدعى داعٍ.. تُردد: (لم آمر بها ولم تسؤني).

---

(١) هذا إن لم يكن وراء (هذره) مآرب، فـ (لحى الله الغرض، لأنه مرض).

(٢) وكان الاولى لو كان ذا عقل حصيف أن يتدارك مساقط (هذره)، .. في محاولة تقديم الإعتذار، و(رأب صدع) ما تمادى إليه! ، وهذا هو الأدب الشرعي، فمن تمام (أو) آداب ديننا: إعطاء كل شيء مقداره، فهناك ما يسمى بـ (الإثم المركّب) وقد تقدم مثاله.. ص١٠٣، أو كما في قوله ﷺ عن: {العائل المستكبر} صحيح مسلم، بالوعيد المذكور، فهو محتاج لمال الناس، ويتكبّر عليهم، فلا يتفق هذا في ذهن الأسوياء أبداً.

(٣) بخاصة ممن يهذي وهو بما يقول.. لا يدري!

سأل رجل فقيها : : إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر اغتسل، فهل أتوجّه إلى القبلة أم إلى غيرها؟ فقال الفقيه: توجه إلى ثيابك التي نزعتها، قصده أي : حتى لا تُسرق!

وقال رجل لفقيه آخر: إنني تزوجت إمرأة، فوجدت بها عرجا!، فقاله له (إن أردت أن تسابق بها فطلّقها).

ومن فهمنا لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] نُدرك أن من أُوذي بسبب ما اكتسب فهو جزاءوه – كما قال أخوة يوسف عن أخيهم شقيق يوسف، حين أُتّهم بسرقة صواع الملك : ﴿ فهو جزاؤه[1] ﴾ .. –كذا بيّن في قوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ١٣٤] أي من الخير وهو (المغنم)، و﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[البقرة : ٢٨٦] أي من الشر (المغرم)!، ومع ما تقدم، ما جاء في الحديث القدسي المتفق عليه: { إن الله كتب الحسنات والسيئات..} ، إلى أن يقول { وإن همّ بسيئة فلم يعملها ، كتبها الله عنده حسنة كاملة..}.

أختم هذه ، أنه مع (التعوّد).. التدريب، أو تنمية ما لديك من خصال الخير/ أن على كل من رُزق خلّة حسنة أن ينمّيها، ويتعاهدها- طبعاً بعد أن يشكر الله عليهاـ،كما قال الصاحبي الأشجّ بن عبد القيس حين مدحه الرسول ﷺ بـ { إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة} إلى أن قال الصاحبي:
" الحمد لله الذي جبلني على ما يُحب"، وهذا المأمون يقول : (والله لقد حُبّب إليّ العفو، حتى خشيت أن لا أؤجر عليه).

وللعلم هُنا ، أن هذه (نعمة) ليس كلٌّ[2] مالِكها ، قال حافظ إبراهيم :

وإذا رُزقـــت خليقـــة محمـــودة   فقـــد (اصـــطفاك) مُقسّـــم الأرزاق

---

(١) كأن تقول لمن استجرأ الزنا : زوّجناك لنعفّك لكنك أنت لم تعفّ نفسك- أي : ماذا نعمل بعد بذلنا الأسباب؟!-
وفي الحديث عن الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولهم عذاب أليم: { الشيخ الزاني..} ، وقد علل بعض الفقهاء سبب كل هذا الوعيد: أن قد مضت عنه شهوة الشباب ، فما يدعوه لهذه الكبيرة، سوى أنّه استمراء فعلها!، - فهل أبلغ من هذا التحذير ؟!-
(٢) أو على نحو ما قيل عن (الحظ): أن تكون في المكان المناسب، وفي الوقت المناسب، لكي تظفر بفرصة سانحة- جونسون- .

أيضاً: وليس من السهل حوزها.. أو بُلوغ شُقّتها، قال المتبي:

(لولا المشقّة) ساد الناس كلهم[1].

ذاك سبب، والسبب الآخر في إتمام للحديث الذي تقدم – مطلع هذه النقطة- : { .. ومن يتحرّى الخير يُعطه، ومن يتّقِ الشّر يُوقه}..

.. وهذا " معن بن زائدة" ، حين سُئل عن سبب حلمه؟ أجابه: "أنه كان يجتنب أخطاء الآخرين"، وبذلك درب نفسه على أن يكون حليماً.

وليس في هذا كبير، حتى لدى الكبير- سنّاً- ، فهذا الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وما كان عليه من حلم، فقد اكتسب الحلم على كِبر - كما اكتسب النابغة الذبياني الشعر على كِبر منه.. أيضاً-

مِمَا تُدلّل هذه الأمثلة، أن في إمكانية المرء أن يكون ذكياً وحليماً بالتدريب، ولعلنا لا نغفل كَثرة الكُتب التي أُلّفت من أجل ذلك، فكم من مُستفيد منها، وكم من فقير ذكاء وحلم.. أصبح -بسببها- يشار إليه بالبنان لحُسن ذكاء، أو شُهرة حلم.

ولكنّ.. (التدريب)[2] ليأُتي أُكله يحتاج تجريب أو اختبار، وهاك -نقلاً عن صاحب المقدمة بهذا الكتاب (د. خالد المنيف) حفظه الله- :

---

(١) .. ثم عقّب الشاعر معللاً: بأن (**الجود يُفقِر، والإقدام قتّال**)!

(٢) وكذا (التسلسل) فكرة ففعلا، فعادة، فطبعاً.. يبقى أو يحدد مصيرك (مآلك)، ألا.. فـ :

راقب أفكارك، لأنها ستصبح أفعالاً.

راقب أفعالك؛ لأنها ستصبح عادات.

راقب عاداتك؛ لأنها ستصبح طباعا.

" .. يُحكى - في التراث الياباني- : أن أحداً تحدّى معلّمه ليشرح له ما الجنة؟ وما النار؟ فأجابه المعلم : (إنك غير جدير بوقتي، وبالتالي فلن أُضيّع وقتي معك أو مع أمثالك!)، صرخ الرجل في جنون وسحب سيفه وأوشك على الانقضاض على معلّمه قائلاً : (أريد قتلك على هذه الإهانة)، فأجاب معلمه بهدوء وسماحة :

(هذه هي النار) [1]، فاجتاحت الرجل رهبة حين أدرك صدق معلمه في وصفهِ للغضب الجامح الذي سيطر عليه، فهدأ وأغمد سيفه واعتذر لمعلمه بأدب جم، وهنا قال المعلم : (وهذه هي الجنة)"!

يتبع التعوّد – هذا- هذه /

- حين يتعمد الآخرون فهمك بطريقة خاطئة، فـ :

لا ترهق نفسك بالتبرير، فقط أدر ظهرك واستمتع بالحياة.!

- إذا خانك أحدهم مرة.. فالذنب ذنبه، وإذا خانك مرة أخرى .. فالذنب ذنبك.
- لا تقل قد فشلت قل لم أنجح بعد!، ولا تذهب بعيداً، فقد ينتظرك النجاح هنا.
- كن في الحياة كشارب القهوة (يستمتع) بها رغم سوادها ومرارتها.

راقب طباعك: لأنها ستحدد مصيرك.

(١) .. ومقصده ، في المثال التالي :

قال الشاب للمعلم: كم من الزمن يستغرقه تعليمك إياي حسن السلوك وضبط النفس، قال : عشر سنوات، قال : الشاب كثير جداً! رد عليه المربي : في حالتك إذن عشرون سنة.

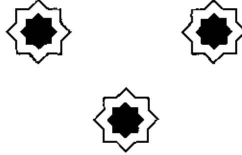
- لا تسمح لأحد أن يأخذ الأولوية في حياتك عندما تكون أنت خياراً ثانوياً في حياته.
- كن في الطريق عفيف الخُطأ شريف السماع كريم النظر.

- وكـن رجـلاً إن أتـو بعـده يقولـون مـــرّ مـــن هنـــا، وهـــذا الأثـــر-

- سئل أحد السلف ما سر أثرك في الخلق؟ قال : كنت أدعوهم بالنهار وأدعو لهم بالليل.

.. وقال أعرابي أسوأ ما في الكريم أن يكف عنك خيره، وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شره.

- وأخيراً.. هطول المطر.. يعلمنا الإحسان إلى من أساء.. أو قصّر في حقنا.



أحـــد عشـــر : **لكن** أو .. إتماماً : أنّ لكل قاعدة استثناء[1] وقد تقدم أن : لكل مقامٍ مقال – أيضاً : (لكل حالٍ لبوسها)- :

{إن الله يغضب أن تُؤتى محارمه} – كما في الحديث- ، والشافعي يقول: (من استغضب ولم يغضب فهو حمار)[2] .

بمعنى أن هناك موجبات تُكبّر الأمر.. حين تبلغ ويستبينها عقل الحصيف الرزين، وقد قالوا : (اتّق الحليم إذا غضب[3]) أي حال إبلاغه تلك الدرجة! ، وكما قال عمر رضي الله عنه : (يُعجبني الرجل إذا سيم الخسف.. أبى)!- كما سيأتي ص١٥١-

.. لأن (الإفراط في التواضع يُوجب المذلّة) .. على هذا نبّه ابن المقفع ..

وهنا نُهدي هذه الـ (ومضة) .. التي قال بها ابن حجر – يرحمه الله- :

(الفرق بين المدارة والمداهنة ، أن الأُولى ترك الدنيا لصلاح الدين ، والأخرى ترك الدين لصلاح الدنيا).

وأذكر .. ومن صور المدارة –أو أعجبها- .. التي علقت في ذهني حال علمي بها : أن إمام مسجدٍ كان احد جماعته من نسل أبي لهب[4] ، فبقي سنوات لا يقرأ

---

(١) كما سيأتي بسطها في (ختم) –ص١٥٧ وما بعدها- ، قال (الفرزدق) في مدح علي بن الحسين - زين العابدين- :

ما قال (لا) قط.. إلا في تشهده (لولا التشهّد) كانت لاءوه نعم

(٢) وربما ذهب المعنى إلى أنه حمارٌ في (الصبر)، فالحمار مشهور عنه بـ: أبو صابر (لكثرة صبره)!- أو هكذا يكنّى - .
لكن ظاهر مرماها أنه: حمارٌ في المشاعر.. أن يُستفزّ أحدهم في دينه، أو في ثوابته.. فلا يُحرّك ذلك منه شيئاً ساكناً، ممن بلغوا.. أو حالهم كما قال تعالى : ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ النحل : ٢١ .

(٣) ومن الأمثلة : احترس ممن يبدو غبيا على الدوام، فقد يستخدم ذكاءه في مواقف لا تمكنك الخلاص منها.

(٤) .. من صدق به (أمل) الرسول ﷺ.. بقوله : { لعل الله أن يخرج من اصلابهم من يوحّد الله.}.

سورة " المسد"- في الصلاوات الجهرية- ، إكراماً.. أو مُدارة لخاطره ، حتى رحل ذاك.. عن جوار مسجده، لا إقراراً، لكنّه إجتهاد محضٌ – منه- ..

والسؤال عطفا على مقولة ابن حجر، التي تقدمت:

أيّهما أنت مُتخذ.. مطيّتك؟ مع إيمائه من الآية : ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١] ، فـ (الجواب) : لديك .. لأن :

لا خير في حلم إذا لم تصفو ... بوادره !

.. أي : بلا تصنّع له- ألا.. فـ (داري)، ولا (تُداهن)-

.. ثم اقرأ معي هذا الحديث الواﻓ: { أوثق عُرى الإيمان المُوالاة في الله والمُعادة في الله، والحبّ في الله، والبغض في الله عز وجل}[1].

.. ومثال في سعد بن أبي وقاص ﷺ، الذي قال لأمه : (والله لو أن لك ألف نفس، وخرجت واحدة تلو الأخرى، ما رجعت عن ديني)، فأنزل الله به:

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ القمان : ١٥] .

وعلى هذا، أو بين فهم هذه النقطة بالذات، وبين كافّة ما تقدم (شعرة) تستبين نظرها:

(عين) وبصيرة: الحاذق.. الحصيف.. الجهبذ- ألا.. فكن أحد هؤلاء الثلاثة- ..



(١) رواه الطبراني عن ابن عباس، وصححه الألباني- في الجامع الصغير-

اثنـا عشـر: هل معنى (ما تقدم) أن لا نغضب مطلقاً؟

أبداً، لسببين، أولاً: لأن الغضب مما جُبل عليه البشر – وإلا لأصبح جماداً لا يتأثر، ولا يؤثّر، ولا .. الخ-

ثانياً: هناك مواطن أو مواقفٌ الغضبُ بها أولى[1]..

إذا لم يكـن إلا الأسـنَّة مركبـا   فـلا رأي للمضطر إلا ركوبهـا

بل هو الواجب، أي : حال ما يصل الأمر للدين والكرامة والشرف والثوابت لديه.. فزّ – عندها- : من سُبات تسامحه!، فـ .. ﴿لا تجدُ قوْماً يُؤْمنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَهُ ولَوْ كانُوا آبَاءهُمْ﴾ الآيات [المجادلة : ٢٢].

وإلاّ .. لأمسى (صمته) شيئاً ثانياً غير ما (نحثّ) إليه.. هُنا!

لأنّه –عندها- قد يأتي بأكبر!

.. والعفو يلزمه شرطين، الأول : القدرة عليه فـ (العفو عند المقدرة)، ..

الثاني: أن تكون بمكانها- أي: مع من يستحق- .. فما استخفّ من ألّب على عثمان ﷺ إلاّ لرقّة قلب (ذي النورين)، وكثرة عفوه.

وخُذ مسألة (الإجارة)، اي أجرته آويته وحميته، وفي الحديث الصحيح:

{ لقد أجرنا من أجرتي يا أم عمارة}.

---

(١) فإن سوى هذا، هو (خورٌ) .. لا حكمة فيه، يُربى بالمسلم أن يكون كذلك!

.. وكما أجاب أبو بكر ﷺ وهو كما نعلم (من سيرته) أنه من أحلم وأسمح الصحابة.. عروة بن مسعود:

(أُمصص برض اللآت (*)، فلن تعدو قدرك).

- (*) أي : الصنم الذي تعبده-

فـ .. العربُ في الجاهلية كان نفرٌ من رؤساء القبائل يجيرون من يرد إليهم لاجئاً بسبب خوف أو دم، وحين جاء الله تعالى بالإسلام منع هذا في حق من حقوق خمسة، فلا يجار أحد في مسائل منها:

١- لا يجارُ من هتك عرضاً.

٢- لا يجارُ من آوى محدثاً.

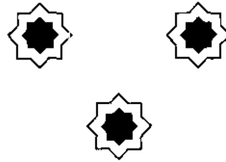
٣- لا يجارُ من قتل نفساً.

٤- لا يجارُ من أثار فتنة وظلم.

٥- لا يجارُ من قدح في الشرع.

ويكون هذا أوجب: حين (تُنتهك محارم الله)، للحديث الجامع: { من رأى منكم منكراً} إلى قوله { فبلسانه..} ثم { فبقلبه} ، ومعنى التغيير بالقلب، أي :

عدم الرضا عن الفعل، والفاعل، .. إمّا في إظهارٍ للإمتعاض، أو في عدم مُجالسة صاحبه .. وهو مُقيمٌ عليه، أو..، المهم أن يختار ما هو أنجع في تأنيب فاعل المنكر[1]، وأطره عنه- .. انظر (تجليةً) في ص ٥٢ مع هامش (٢)-



(١) وكما سيأتي (عرضٌ أتم) في ص١٥٧ — وما بعدها-

ثـلاث عشـــر[*]: أو أخيراً:

و.. لـ { إن من البيان السحرا أو لسحرا }[٢]، أو { إن من بعض البيان لسحرا } رواه البخاري- .. كما قال من أعطي جوامع الكلم ﷺ -

و.. أيضاً قالوا: (الكلام اللين يغلب الحق البين)أجل.. ، أجل.

فكم كان حُسن المنطق و.. (جمال) الجواب الخلاب ، طريقاً إلى الخلاص حتى من قطع الرقاب! بل بلغ.. أن يكون (وحده) الحجّة الكبرى الذائدة عن صاحبها ، .. وفي أحلك المواقف، بل إنه رفع الوضيع[٣].

وهاك .. أمثلة مطلعها ، أو أولاها :

قال قتادة عندما قراء ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾[طه : ٢٤] " سبحانك ربي ما أحلمك، ما أعظمك.. إذ كان هذا حلمك بفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، فكيف حلمك بعبدٍ قال: سبحان ربي الأعلى"؟

ومن القدوة ﷺ قول أنس رضي الله عنه (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، ما قال لي لما فعلت هذا أو لما لم تفعل هذا قط) أو بما معناه.

١/ المشهور في استعطاف الحطيئة عمر رضي الله عنه تشفعاً بحال أطفاله من بعده، بـ :

(*) و.. أنتهى بهذا (الرقم) – دون قصد- مع أن هناك من يتشائم منه- بخاصة ممن جلب الغرب عليه بخيله ورجله- ، لكن أهل الإسلام يقول رسولهم ﷺ: { .. ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر} الحديث، وتخصيص الشؤم بزمان دون زمان؛ كشهر صفر وغيره ليس صحيحا من شيء، لأن لا شيء يؤثر في أقدار الله.

(٢) نورد – نماذج .. هذا –ك : دلالة على أن حسن المنطق، وجمال الأسلوب، وصيغ الاعتذار.. أسباب تملك بها الآخرين، وربما تسقط بتلكم (حق) ظاهر شاهر عليك.

(٣) والعرب- في جاهليتهم- أدركوا ذلك/ وفد " حاجب بن زرارة" على (أنو شروان) فاستأذن عليه، فقال للحاجب: سله من هو، فقال رجل من العرب، فلما مثل بين يديه قاله له أنو شروان: من أنت؟ قال: سيد العرب. قال : أليس زعمت أنك واحد منهم..؟!
قال : (إني كنت كذلك ، فلما أكرمني الملك بمكالمته، صرت سيدّهم) فأمر بحشوفيه - فمه- درّاً.

مــاذا تقــول لأفــراخ بــذي مــرخ زُغــب الحواصــل لامــاء ولا شــجرُ

.. الخ، فأطلقه أمير المؤمنين، فقط رأفة (بهم).

٢/ ونفس الطريقة- شعراً- استعطافُ (جريرٍ) لعمر بن عبد العزيز -رحمهما الله- بـ:

هـذى الأرامـل قـد قضّيت حاجتهـا فمــن لحاجــة هــذا الأرمــل الــذكرِ

فأعطاه .. من بيت المال – حاجته-

٣/ سأل أحد الخوارج[١] علياً ﷺ –متشفّياً –لماذا: صَفْت (الخلافة) لمن قبلك، ولم تصفو لك؟!، أجابه علي ﷺ، بموجز من القول الكافي.. الوافي: (لأن رعيتهم أنا وأمثالي، ورعيتي أنت وأمثالك)!!

٤/ أتي عبد الملك بن مروان برجل من بعض من خرج عليه، وقال: اضربوا عنقه، فقال الرجل: والله ما هذا جزائي منك، قال: وما جزاؤك؟

قال: والله ما خرجت مع خصمك إلا لأجلك، وذاك أنني رجل شُؤمٍ ما كنت في جيش إلا وهُزم!!، فضحك منه وأخلى سبيله.

٥/ وسئل –أي الحجاج- أحد الخوارج عليه: ما دينك[٢]؟، قال: دين أبيك!

قال: اتركوه، فقد كان –يعني أبا الحجاج- صوّاماً قواماً..

---

(١) والخوارج كما قال الأئمة البخاري وابن تيمية والنووي رحمهم الله: (الخوارج أشد خطراً عن الإسلام من اليهود والنصارى).

(٢) وذاك: كناية.. استعتاب له- لإستباحته الخروج على أحد أُمراء الخليفة-

٦/ قال الأصمعي: أُتي الخليفة المنصور برجل يُعاقبه، فقال: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نُعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين، فعفا عنه[1].

٧/ .. أرسل أبو العتاهية .. إلى الخليفة –وقد سجنه- هذه الأبيات[2]:

أمــــا والله إن الظلـــــم شــــؤمٌ   ومــــا زال الظلــــوم هــــو الملــــوم

إلى الـــديان يـــوم الحشـــر نمضـــي   .. وعنـــــد الله تجتمـــــع الخصـــــوم

فبكى الخليفة، وأطلقه.

٨/ .. ونهر عبد الملك بن مروان – شاعره- جرير .. حين استفتح:

اتصحوا، أم فؤادك غير صاح بـ (بل فؤادك أنت)[3].

- أي : تأدب في حضرة الخليفة، واستحضر الأدب أمام كبار القوم- .

٩/ .. عنّف أبو جعفر المنصور.. حين استشاطه أحدهم بالنصيحة، ناهراً من أو مأ إليه: أن عاقبه! ، بـ : (هذا مجلس مثوبة، لا مجلس عقوبة).

١٠/ كان أبو تمام مع الخليفة (المتوكل) في صيد، فرمى الخليفة الطائر .. فأخطأه!

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي- ص٢٦٤-
(٢) .. ذُكرت الأبيات أنها من نظم علي بن أبي طالب ﷺ .
(٣) .. هذا، مع أن جرير كان يُخاطب فؤاده هو.

فقال أبو تمام[1] : أحسنت!

فالتفت إليه الخليفة مستنكراً، من هذه المداهنة .. فاستدرك أبو تمام قائلاً: (أحسنت.. للطائر).

فُسرّ الخليفة من حُسن تخلّصه، وسرعة بديهته.

١١/ .. وهذا الشاعر (محمد التلمساني) .. أجاب القاضي أبا جعفر، وكان قد لزمه – فسأله ذات مره عن حاله – فقال:

يــــا مــــن مضــــى وتســـمّى	.. ولم يخنـــــه زمانـــــه
ســـألتني: كيـــف حـــالي؟	وقـــد كفـــاك عيانـــه
.. إن كـــان عنـــدك (خـــير)	يُرجـــى.. فهـــذا أوانـــه

١٢/ ولعلّي أختم.. حديثاً[2]: كان العلاّمة ابن عثيمين - رحمه الله- يؤم بمسجده، وأخطأ بقراءة آية.. فرد عليه أكثر المأمومين، ثم بعد أن سلّم نبّه إلى أنه أو (حبذا أن لا يرد على الإمام إلا واحد ممن يليه) ، أيضاً تطبيقاً لحديث { ليليني منكم أولى الأحلام والنُّهى} ، وهو يقصد: ليركّز الإمام على تصحيحه..

فقام أعرابي من آخر الصف وقال بلهجة عامية: (اللي ما يعرف يقرأ ودك ما يصلي بالجماعة) .. فتبسّم شيخنا .. عليه شآبيب الرحمة.



(١) وهو القائل للخليفة – حين احتجب عن لقائه- أن لا يأس، مُعللاً: **إن السماء تُرجى حين تحتجبُ**

(٢) .. أو حتى لا يُظنّ أننا نتكلم بالتاريخ .. والتاريخ قد (مضى أهله)!

لكن .. استثناءات:

ديننا الكامل(١) ، والواضح(٢) ، .. يأمر باللين، نعم، ويحث عليه.. أجل، بل قُل يُثيب عليه..

إلا أنه يقف بحزم أمام من ينتهك آدابه، لحديث: {إن الله يغضب حين يُمدح الفاسق}، فضلاً عن أصوله .. كما في الحديث: { إن الله يغضب أن تُنتهك محارمه} ومثل هذه النصوص تجعل للغيرة على محارم الله أجلَّ محلّ، وللغضب على ما يمس دين الله أجلى مكانة، وأعزّ مكان ، ففي قوله ﷺ : { أتعجبون من غيرة سعد، لـ اللّهُ أغيرُ من سعد.. } ، معنىً وآفٍ، أيضاً تحكي عائشة – رضي الله عنها- بـ (ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعه الناس منه..) متفق عليه.

وإليك .. من دلائل **الاستثناءات** .. المعروفة :

أولاً .. أو من هذا العموم (ذكر الله)، وهو- ولا شك- حياة الضمائر، وعزّ السرائر، وأقوى الذخائر، أمر الله به في ساحات الوغي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال : ٤٥] ، بل أمر الله جلّ وعلا به في كل محفل وموطىء : ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

.. سوى ما استثناه الشرع من أماكن معلومة – وهذا مقصدنا – / كموضع (قضاء الحاجة) (٣) وما بقياسها، فيقال بعد الخروج من ذلك: {غفرانك} .. من تعمّد عدم ذكرك آنها .. إجلالاً لقدرك، يارب.

---

(١) . كما في قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة : ٣]

(٢) .. فـ ليس فيه أسرار، قال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله- : (إذا رأيت إثنان يتناجيان، فإن بينهما دسيسة)! لأن إسلامنا واضح قريب، أو سهل المورد، فدستوره (القرآن) تجده والحمد لِلهِ بكل مسجد، وكذا صحاح السنّة.. لا تخلو منها والحمد لِلهِ مكتبة.

(٣) (وكذلك يكني عن البول والتغوّط بقضاء الحاجة، والذهاب إلى الخلاء، ولا يصرح بالخراءة، والبول، ونحوهما).

ثانياً: ما جاء في النص النبوي: { إن الله يحب التيمّن في كل شيء} ، وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها، قالت (كان النبي ﷺ، يعجبه التيمن في تنعّله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله). فقد شرح ابن تيمية ما يخرج عن هذا الجمع، في قوله:

(سوى الدخول للخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الحذاء) .. الخ، – أي خارج عن إجماع حب (التيمّن) في كل شيء.. –.. وهو أيضاً مما ينسحب عليه قولنا عن الذكر.

وهذه هي (القاعد)، التي نبّه إليها هذا العلم[1] – رحمه الله- .

ثالثاً: من الاستثناء على وزن ما تقدم ، ما جاء ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء : ١٤٨]، قال سناد بن الفحل :

فـــإن المـــاء مـــاء أبـــي وجـــدي وبئـــري ذو حفـــرت ذو طويـــت

فاجعاً بها أمام من ظلمه حقه عياناً بياناً!

لكن: ﴿وَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى : ٤٣].

وهنا تنبيه لك أيها: (الصابر)، .. فإن الطرف (المؤذي)[2] ليس بسالم من الإثم، لأنّه بسلاطة لسانه[3]، أو بقوة سلطانه ما جعلك تتنازل جبراً- لا اختياراً – عن نصيبك، أو حتى لحذلقة بيانه .. ما سلب[4] به حقك!

(١) وصدق من قال (النبوغ.. أن تلحظ ما يعمى عنه الآخرون).

(٢) .. انظر طرفاً مما تقدم ص ١٣٣ .

(٣) كما تقدم .. ص٦٥ .

(٤) كما .. في حديث { إن أحدكم ليكون الحنُ بحجة من صاحبه..} الحديث.

إذاً ما العمل، (اليوم)!؟، مع ثلّة غلب على فهمهم العقيم، وسلاطة (أو تسلّط) لسانهم السقيم.. أنه قد أمسى لهم وحدهم وكالة (الحق) الحصريين!

بخاصة متى ما أحس أحدهم أو تيقّن بانتفاء حُجّته، أو بلغ مبلغ حالة الإفلاس[1] منها!

وعندها، .. قام – ربما – واقفاً، ورفع صوته، وقد يبلغ أن يجادلك بيدهِ، طبعاً (لو) استطاع..! – أو وجد لهذا ﴿مَلجَأً أَوْ مَغارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً﴾ [التوبة : ٥٧] .. لما تقهقرت.

ولم يدرِ.. المسكين أن (الصُّراخ) لم يكن بيومٍ حجة، ولا هي سبيلٌ لبلاغها، - أي: إن وُجدت .. الحجّة! - ، ولا عجب أن قالوا في من يبلغ حالة ذلك: (يأتي الصراخ على مقدار الألم)!

أي : من قوّة حُجّة الخصم، .. وهذا- للعلم- لدى من ركِبهم (هوى) التعصّب، أو غلبة عليهم شقوة العودة للحق، أو استطالوا طريقهُ!

.. ومنهم نوعية تنحو إلى ﴿الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾ [البقرة : ٢٠٦] - وقد تقدم في ص ١٤٤- كما أنبأنا المولى من أخبارهم.

أو.. شأنه في ذلك حال من {إذا خاصم فجر}[2] ، لا شأن المثقف في مناظرته لمن يختلف أو يتفق معهم، ممن ينشد بلوغ الحق، و (الحق)[3] فقط..

---

(١) أمّا حالُ هذا (الصنف)- النقاش- في المكاتبات، فلا تعجب حين يُزخمك بالمفردات.. المترادفات، التي تحمل شيئاً من السجع، أو تلك المحسنات اللفظية التي قد تسلب لب (القارىء)، فيظن أن في جوف – فراء- كاتبها: صيداً!

والحديث - هنا (هامش ١)- يحذّر مثل هذا!، إلى : أن يثوب إلى (الحق).

(٢) كما في الحديث – عن آيات المنافق-

(٣) قال "توماس كارليل": (يحسن بنا أن نتوقى الخصومات وظلم القريب أو الزميل فهذا مشين وردي، يعلق في النفس ويرديها مع الأيام على الحياة على سوءٍ بيّن، وما قيمة الإنسان إذا كان له ضحايا بسببه لا قيمة له بتاتاً)- أي لا قيمة (عندها) لما بلغ-

وهذا النوع من الاستهداف عادة ما يكون ساذجاً ومفضوحاً، لأنه لا يحقق أهدافه إلا من خلال النيل المباشر من صفات الخصم الشخصية أو الجسدية[1]..

بخاصة وقد أعياه.. أو فقد منطق الحجة على غريمه، فانتقل عندها إلى عذلٍ.. في صفاته[2]!

ومع ذلك فالمفلس[3] يُوسع خصمه غمزا ولمزا يسموان وينحطان بقدر سمو وانحطاط قائلهما .. وعندها فكل (برميل) –وليس "إناءً".. فقط- بالذي فيه ينضح!

.. وحُق على مثل ذلك العتاب .. بـ الجواب على .. سؤالٍ :

لماذا نلغي من نختلف معه؟، لماذا لا نحاوره، بالرأي والمنطق والحجة، بدلاً من ممارسة ما يشبه (الحجر) أو : التبكيت..!

---

(١) .. تلك التي لا علاقة لها بالموضوع المختلف حوله! – وقد تقدم مطلع ص٩٧.. عن هذا-

(٢) وهنا تتذكّر مقولة الشاعر :

إني، وإن لمت حاسدي فمـــا أُنكــر أنـــي عقوبـــة لهم

.. وعندها : (**سوى داء الحساد داوي**)، أو قُل (**الحماقة أعيت من يداويها**) .

لكن هذا.. ليس دائماً ، وإن كان البعض يُلبس (النقد) الصائب: ثوب الحسد! إما توهماً أو من حيل النفس للتنصّل من النقد .. عموماً- وهكذا، وهذا مبحث يحتاج تفصيلٍ أوسع-

(٣) .. تقريباً بهذه الكناية، كما في الحديث –الأشمل لها- : { أتدرون من المفلس..؟} الحديث المشهور- وقد تقدم ختم ص١١١-

هل نقول : لأن البعض[1] – وهذا من ضيق الأُفق، أو ضيق الذرع بما بلغه (ربما) الآخر[2]- : يُمارس حالة من (الإقصاء) : قد تبلغ الوأد، تجاه آراء تتناطح مع مسلّماته[3] ولا يرضى – عندها- خاطره، أو – قد – لا تتفق مع قناعاته..

أو نقول : لأن منهم.. من قد يفقد القدرة[4]، أو يكتشف أن حجّته وآهنة!

أو نقول: في حال سوء إنصاتٍ منه، ما يوردك –جبراً- إلى أن لا تُكمل حتى الإدلاء بما لديك في دحض ما يورد !، لأن صراخه، وقُل تَطاول ألفاظه تجعلك تُؤثر العفّة عن الانتصار.. لا أقول للنفس فقط، ولكن حتى للحق[5]، مما يحسب (المسكين) أنّك سلّمت.. لقوله!!

---

(١) وآسف على هذا الإستطراد.. الذي لابدّ منه (اليوم).

(٢).. وتذكّرت لهذا (المثال)، قول الشاعر:

نظـــروا صـــنع الله بـــي، فعيـــونهم　　في جنّـــــة، وقلـــــوبهم في نــــار![*]

وقد روى الطبراني من حديث { استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فأنّ كلّ ذي نعمةٍ محسود} صححه الألباني، في صحيح الجامع ٩٤٣.

ولأن هناك حساد.. حسدهم ظاهر – وإن أطلق عليهم: أعداء (النجاح)- ، أو كل من وجد ذا خيرٍ ولم يستطع أن يحاكيه ..

حسـدوا (الفتـى) إذ لم ينـالوا سـعيه　　فالنـــاس أعـــداء لـــه، وخصـــوم

- (*) أي : نار (الحسد)، .. كما أوجز عنه أحد البلغاء :

لِلـــهِ درّ الحســـد مـــا (أعـــد لـــه)!　　بـــــداء بصـــــاحبه فقتلــــــه-

(٣) وهذا آت من (نوعية) التربية ، قال أحدهم :

ولو أنّ قومي أنطقتني رماحهم　　نطقتُ، ولكن الرماح أجـــرّت

(٤) .. على الاعتراف بالحق.. الذي قدّمه محاوره!

(٥) .. وقد تقدم الحديث: { أنا ضامن – أو زعيم- بيتا في الجنة، لمن ترك المراء- أي: الجدال- ولو كان محقاً}، حتى قال الإمام أحمد : (إذا أراد الله معاقبة قوم، إبتلام بكثرة الجدل، وقلّة العمل)!، وقال .. (إن الجدال يُذهب نور العلم)!

ولم يدرِ أنك قد أدركت أنه يهرف بما لا يعرف..

وأنّك وأنت تُرهف (جبراً) لما يقول[1]!.. تدور في أرض يباب خالية من..!

فيتحوّل البحث- معه- عن الحق، إلى مسألة تشفٍّ – منه - أو انتقام لـ (قوة) حججك .. (دون أن يدري).

وهنا.. حتى لا يُحسب علينا أننا (نُحجّر)، فقد يكون له الحق .. في الرفض، لكن بشرط/ من خلال ممارسة النقد أو تصويبه بموضوعية، وطرح الحُجة نحو (الرأي) والفكرة والموقف، وليس من خلال التحريض بالإقصاء، أو رمي الكلام على عواهنه!، أيضاً ترك نزعة الوصاية التي .. ارتقى ظهرها، أو هيمن على مقدراتها: كل من قرأ سطرين، أو كتب صفحتين!

ثم.. وحتّى لو كان في قوله وجاهة، فلابد أن يدرك أن : (الاختلاف) ثراء، وتجديد.. هذا.. مع الإدراك أن (التجديد) فقط يكون داخل بوتقة الثوابت[2]، بل هو مطلوب..

لأنه- أي: التجديد- على الفكرة، و داخل شروط النص: هو حياة (لها) ، فـ :

---

(١) آثرت معها الصمت – انظر مطلع ص١٠٢-

(٢) التجديد: أصله العودة للنبع- الصافي- ، ولهذا يوصف عمر بن عبد العزيز بـ الخليفة المجدد.. أي : الذي أعاد الخلافة، إلى ما كانت (سيرتها) في الخلافة الراشدة.

المـــــاء إذا لم يتحــــــرك فســـــد   والـــــنفس إذا لم تجـــددها تَمْـــتْ[1]

فـ (يا عبد الواسع، ليكن فكرك واسع)[2].

كما .. لو علم أنّه كلما تكاثر الاختلاف النقدي والعلمي والموضوعي، كان ذلك ميداناً رحباً وواسعاً للوصول إلى الحقيقية الصحيحة والنافعة .. المعينة على التطور والتطوير والرقي والازدهار والعدل..

لربما (سلّم) -عندها- بهذا المفهوم الأشمل.. لذلك.

.. نعود، لنذكر- هنا- مع الاستثناءات التي تقدمت **فنورد** :

أولاً: إحسان الظن[3] بكل الناس .. سوى النفس، للعزم على الرقي بها، فـ :﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ [يوسف : ٥٣]، فمن حسن الظن هذا :

وَإِنِّـــي لأرجُـــو الله حتـــى كـــأنّني   أرى بـــ (جميـــل الظَّـنِّ) مــا الله صــانِعُ

---

(١) كما ضرب مثالاً.. بذلك، ذلك الشاعر.. القديم.
و(التجديد) أن يؤتي بشيء غير مسبوق بآليات عقلية وفكرية مركزة طويلة النفس بعيداً عن : النقد المتعالي.
ويقول "سير جاي سنكر" : (ليس من اللازم أن تنشد الجاه، ليس من اللازم ذلك فكل من جدّد غالبهم إلى التسعين بالمائة كانوا علماء مستقلين).

(٢) كما ودل قوله تعالى: ﴿فافسَحُوا يَفسَحِ اللهُ لكُمْ﴾[المجادلة : ١١] على " أن كل من وسّع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسّع اللّه عليه خيرات الدنيا والآخرة".

(٣) و.. لأنه تقدم ما ورد عن عمر ﷺ : (أبحث لأخيك عن سبعين عذر) (*) ، فاليوم لو كلمت أحدهم - بالجوال(**)- ولم يردِ عليك، لربما ذهب بك الظن.. به مذاهب!
ولو أطرقت قليلاً لربما دلك ذهنك: أن جواله قد يكون (جهازه) مسروقاً، أو ضائعاً، أو قد نساه بالبيت، أو لربما غيّر الرقم، أو مريضا! .. وهي أحوال، أو ضاع (قد) تمر أنت بها أو بإحداها، وربما تغفل في التنبه لها، مع ما تقدم (إيضاحا) في ختام/ ص٤٦، عن النوايا-
- (*).. فأكثرهم لوما وعتبا، وربما وقوعا على قروح الآخرين، هم أولى بالعتب لأن:

أجرء مِن رأيت بظهر غيبٍ   على عيب الناس: ذوو العيوب

فهل يكفيهم هذا (رادعا)؟!
- (**) وهنا فإن للأخ "حسين الشمري" رسالة وآفية بعنوان (أدب الجوال)، ذكر فيها ما أحسبه من (أدبيات) استخدام الجوال-

وثانياً: في ترك (الطمع) .. إلا بما عند الله، فعلى لسان إبراهيم[1]، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

فما يُحمد.. منه إلا بما عند الله، بل ما (أجمل) أن يُعاب المرء بأمرٍ حَسَن:

ولا عيــب فــيهم غــير أن ســيوفهم   بهــن فلــولٌ مــن قــراع الكتائـــب

.. فإن كان هذا مذموماً بالأصل، لكنّه بهذا المقصد محمود.

أيضاً أتى الطمع - المحمود- .. في التبسّط مع (المُكابر ..) في دعوته للهداية.. من معنى قوله سبحانه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥]، ومجال آخر.. أجلّ/

في قوله تعالى، على لسان خليل الرحمن (إبراهيم): بـ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

ثالثاً: (النكران للجميل) – مثلاً- والذي ليس له عند الكِرام مقاماً أبداً!

إلا حال نكران الذات[2]، وقد تقدم/ أن هناك من يتأذّى من ذِكر (إحسانه):

وكـــان مـــن عــــدد إحســـانه   كأنمـــــا أفــــــرط في ســــبّه!

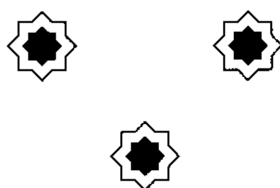
ربما خوفاً أن لا يقبل، أو يذهب (طيّب) وأجر صنيعه من وراء هذا الثناء!

---

(١) فالعبرة – عند الأصوليين- هنا: بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

(٢) كان العلامة حمد الجاسر- رحمه الله- يصفُ قصائده بـ (سخافات). - وهذه مبالغة. أو (تواضع) كبير .. من قامة كبيرة- لمحاولات الذات، ، وإن كانت بالأصل (محاولات) في أدنى درجات نعتها.

رابعاً: من (القاعدة) في الاستثناءات ما جاء في (الكِبر)[1] المذموم أصلاً، لقوله ﷺ : { لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر}. سوى حال الحرب: {هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في الحرب}- .. تعليقاً على صنيع (حمزة) رضي الله عنه- .. ليرى العدو من أهل الإسلام: ما يهابه، أو يُرهبه[2].



(١) .. وهو الذي بيّنه ﷺ فقال : { الكِبر بطر الحق غمط الناس} ، وبطر الحق رده على فاعله، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم والحط من أقدارهم، .. وليس ذاك الذي يحب المظهر الحسن، فإن هناك (شعرة) يتبين كنهها كل حصيف يُعمل قُدرات ذهنه.. للتفريق بين هذا، وذاك.

(٢) للقاعدة القرآنية : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال : ٦٠] أي : أيّ قوة.. تحسون أنها تضرب العدو في مقتل..!

وأُتـمـم:

.. لا أُريد أن أشقّ عن أكمام[1]هذه المادة ، فتخرج لنا من عطرها الفواح .. وقد وعدت نفسي (أو قلمي) – لا فرق- أن أوجز[2] (قدر الإمكان) : لكنَّ داعياً دعى.. في مقولة جميلة: (ليس من الإنجاز أن تصنع ألف أخ في سنة!، لكن الإنجاز أن تصنع أخاً لألف سنة)[3].. عُذراً شافع في شيء من الإفاضة، فأورد ما قالوا:

(ليست البهجة أن تراه كل يوم، لكنّها حال دعواك إيّاه، .. أو تشعر بوجوده[4] حولك، ولو كان بعيداً)! ، أيضاً:

لقـد قـالوا- وقـد صـدقوا- زمانـاً: ... بــأنّ جِنــان دُنيانــا (التلاقـــي)
لكـــن وإن طالـــت بنـــا خُطانـــا ... فهمـس الحـب (في الـرحمن) بــاقي
نُســـافر في أمانينـــا، ونغـــدو ... وفي أحــــداقنا حـــبّ الرفـــاق
تمازجـــت القلـــوب علـــى ودادٍ ... بـــلا زيـــفٍ خفـــي.. أو نفـــاق

(١) .. في (توسيع) أبعدها، تراجع أو حتى: أو تسمينٌ لحجمها –وقد تقدم شيءٌ عن هذا-

(٢) بخاصة أني كنت قد زورت في نفسي أن لا يتعدّى هذا الطرح الـ (١٠٠) صفحة – إنفكاكاً من نمطيتي- ، لكن/ و (آه) من لكنِ هذه، وما تسحب!

(٣) لكن إن بقي فسحة فلعلي أورد جملةً للدكتورة جواهر آل الشيخ .. جامعة/ جاء في ثناياها: " أن بعض الناس لديه (شبكة) لصيد القلوب، لكنها مخرومة، فسرعان.. ما يخسر من كسبهم، إما بإهماله لهم، أو بقلّة تواصله معهم".

(٤) فـ .. (ليس كل لقاء محبة، ولا كل فراق الجفوة..)وقد صوّر الشاعر مرام هذا بـ :

أُعانقها.. والنفس بعد مشوقة ... وهل بعد (العناق) تدانـــي؟

حتى قال وآجدٌ لخليله: لا تظن أنك حين جفوت، اتخذت أنا سبيلي في الإهمال عجباً، أبداً.. أبداً.

.. غاية المقصود **من هذا العطاء**.. الذي اسأل الله أن يكون صيباً على القلوب، و لها نافعاً ،.. هو :

دعوة إلى تليين القول، وحثّـاً على اللطف في التعامل، وتشفيع ذلك بـ ذكر منافع.. هذا على صاحبه ابتداءً، قال ابن واصل: (من لم يُحسن إلى نفسه، لم يُحسن إلى غيره)..

وكذا أسباب عساها تكون مُعينة لبلوغ هذه الدرجة، مع ذكر نماذج عساها تُغري.. في دفع الذات.. إليها، وعندها وكما قيل:

إذا اتضـح (الصـواب) فــلا تدعــه[1] فإنّـــك كلمـــا ذقـــت الصـــوابا
وجــدت لــه عــن اللــهوات بــرداً كــبرد المــاء حــين صــفا وطابــا

مع التنبيه كرّة أُخرى[2] : إلى أن.. هذه (إشارات) و (دلالات) فحسب، لعلها تذوّقٌ، .. لأنّي لم أبثّ هُنا إلا ما يقوم بركن هذا الطرح، ويكفي[3] بالغرض..

وإلا .. فإن بحث أي موضوع.. حين يُطرق، لن يُستقصى.. مهما جدّ في اطروحته الباحث أو حاول — وهو (منفرداً)- .. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٧٦] .

---

(١) .. لأن (من حفظ حُجّة على من لم يحفظ)، ثم كم أعجبني هذا الدعاء :
اللهم الهمنا الصواب ويسر لنا في كل مسألة جواب ونجنا من كل ألوان العذاب وبيض وجوهنا يوم الحساب.

(٢) .. وقد أشرت إليه .. في/ ص١٥ .

(٣) هناك أمور لا يمكن أن تستطرد بها، لأنك -عندها- لن تستقصيها.. مهما بلغت أو حتى أعانك عليها أولي العُصبة والهمّة من أهل العلم، فهي كالشيء الـ (لاّ مُنتهي)!

أما إن كان القائم عليه جماعة، فقد يبلغوا غالب مراميهم منه، لا كلها، لأن ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

.. مما يدل **دلالة أشمل**، أن ديننا – بفضل الله- (كاملٌ) تام[١] ..

أنــك.. لا تتكلم أو تطرق لفضيلةٌ ما.. تقوم عليها قوائم الدنيا، أو خصلة خير، إلا وتجده – مع تبنّيه لها- يُشبعها، حثّاً إليها، بعد أن يُحيطها بنصوصٍ تحبب إليها، أو عن إحسانها وإحسان من قام بها، .. وبالمقابل ذمّ تاركها إن لم يربط ذلك بعقوبة أو وصمٌ بالدناءة – على الأقل- في حق فاعلها[٢].

فالرحمة- مثلاً- لا يمكن أن تستقصي (النصوص) التي دعى بها وإليها، .. بل كم حثّ عليها ديننا؟، وكذلك قُل عن النهي عن قساوة القلب، وكذا لجم الغضب، .. إلخ .

.. وهنا قصدي.. أن هذه تحتاج إلى بحوثٍ مُستقلّةٍ لها.

---

(١) .. وكما قال أبو الدرداء ﷺ يعني الرسول ﷺ (.. ما من طائر يطر في السماء إلا وقصّ علينا ما نحتاج من أثره)، قال تعالى .. وبعد أن ذكر الدقائق من الأمور ختم بـ : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فإن الحصيف من المعتاد إذا عزم على أمر بدأ بترتيب الأمور المهمة ثم يختم بالأمور الصغرى – إن بقي له متسع-

(٢) تلك المحتقرات – من المباحات- التي دعا إلى الورع عنها، في رفعٍ لهمّة ما ينتمي إليه: (المسلم): من أن ينزل بقدره إليها، كالتوسّع في الدنيا (وقد تقدم عن هذا..) –مثلاً-

بالإضافة إلى أن طرحي- هُنا- قصراً على (اللين) ، وإلا لو جمع الباحث ليشمل في عطائه – ولو – جوانب[1] اللين الأخرى، لاحتاج قلمي – مثلاً- أن يضع أسفاراً لا كتاب، .. أو رسالة – كما في هذا (العرض)-

و.. (يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن الماء ما بلّ الرمق).

.. وهذا ليس عُذراً يسبق سقطي – إن حدث- إنما (اعتذاراً) عما لم أبلغه، أو أُوفّق فيه إلى الصواب منه!، وعذرٌ آخر.. انبّه إليه :

أني كنت قد ذكرت في تعريفٍ عن مؤلفاتي بإحداها (درس.. في تربية النفس) [2]، فاستعضت عنه هذا الطرح، لعله يقوم مقامه، وكذا (أتمّه) بمادة – قريباً بين يدي القارىء بإذن الله- فيما أشرت إليها بعنوان: " اروي الظمآن من أدب القرآن".

أيضاً لعلهما أوسع لبغية طالب ذلك.. الذي رنوته لتلك المادة التي جمعت لها في حيّز.. لا بأس به - من مراجعها- لكن.. كما تقدم، لعل (هذا) بدلاً عنه، وأن رُزقتُ –قابلاً- وقتاً وفراغاً يوازي ما أتمنّاه لإصدار ذلك العنوان، فلعلّي (آتي) به .. والله المعين.



(١) .. والتي لم أعرض بها إلا للتنبيه، مع شيء من دعائم يسند هذا التنبيه، ولا شيء سوى ذلك.
(٢) و.. والله إن مراجع المادة أو قل أطنابها، جاهزة لدي، ولولا الخوف من أن لا أتمكّن .. لأمور أحسبها (أولى) لوقتي، لفعلت.

.. **مسك الختام** :

اتبع قولي (هذا)[1] - مما تيسّر بيانه وأمكن إيجازه- .. أولاً: .. **دعاءً**:

اللهم سلّ سخائم قلوبنا ، وأنزع الغلّ من صدورنا ، وطهّر أعمالنا وأقوالنا.. ونوايانا -أيضاً- من كل ما يغضبك علينا.

ثانياً: هذه التي أُكرُّ عليها -شحذاً للذات - : اللهم اجعل لنا أوفر النصيب من دعاء عبادك الصالحين إلى يوم الدين.

ثالثاً: بلّغني الله وإياكم من العلم أنفعه، وجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

رابعاً: بارك الله لي ولكم في القرآن والسنّة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، وجعلنا الله وإياكم ممن يصغي للعلم فيأخذ بمجمعه، وإذا ذُكّر بالخير ألقى إليه مسمعه.

خامساً: أثبت ما قرأتم، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم.. من كل تجاوزٍ، كيف لا ؟!..

(١) وأنهي ما تقدّم بـ/ أن ما كان من صواب فهو توفيقٌ من الله أُبلغته، وما كان غيره- سوى: آية أو حديث- .. فهو من نفسي، وتجاوزي.. والشيطان أن غلب عليّ بهوىً!

وقد أمرنا بأمرين، التوبة دائماً بـ : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١] ، والاستغفار[1] إثر كل تقصير، .. فهو ﴿ لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف : ١٠٠] وهو: ﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ٣٧]، ألا فاستغفروه- استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله – .. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف : ٩٨].

فاستغفر الله العظيم الجليل لي .. ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب..

والحمد لِلهِ ...

وصلى الله وسلم على رسول الله

- صـــلّى عليـــه الله .. جـــلّ جلالـــه ــــا لاح في الأفـــاق نجـــم الفرقـــد-

(.. تمّت)







(١) فـ (الاستغفار).. ليس شفيعاً لنا فقط.. بل هو بإذن الله (أمان لنا) ، كما قال الصحابي أبو موسى الأشعري ﷺ : (كان لنا أمانان من العذاب، ذهب أحدهما ، وهو كون الرسول ﷺ فينا ، وبقي الاستغفار معنا ، فإن ذهب هلكنا). – انظر (كتاب التوبة إلى الله)، للإمام " الغزالي"-

رسالة " المؤلّف "

إن أي منجز بشري معرّض – لا محالة – إلى النقص، بل حتى العمل الجماعي.. يحتاج إلى المراجعة، لأن الحال قد تبلغ كمالاً نسبياً ، لكن لا ينال درجة الكمال (المطلق).. أبداً، ومما تقدم أبسط التالي:

قال خير الدين الزركلي- رحمه الله- (قارىء الكتاب أبصر من مؤلفه) .. فعلى من يجد ما يلزم[1] تصويبه أن يُقدّمه لي (عن طريق أحد الوسائل.. خلف الورقة)، فإني لأحسب هذا أعزَ ثمن يُقدّم – ليتم الإستفادة.. ومن ثم استلحاقه في طبعة أخرى، إذ يجوز (الخطأ) على الثقة.. كما يقول علماء السنّة المطهرة في مطولات الأسفار- بخاصة ذلك الخطأ الذي (قد) يغيّر المعنى المقصود، أو يُلتبس على المتلقي مرماه.

.. لأنه ومع علمي أن ما كل خطأ يؤبه بتصليحه أو حتى يُشار إليه، بخاصة ذلك المشهور أو المدرك لدى متواضعي مشارب العلم، معرفة ما هو الأصوب به، أي أني لا أعني بالملحظ.. إلا ذاك المهم فعلاً التنبيه إليه، لا ما عناه أو أطرّ له العماد الأصفهاني – ت ٥٩٧هـ- رحمه الله :

(إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه. إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن. ولو زُيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذه لكان أجمل..، وهذا من أعظم العِبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جُملة البشر..).

ولا غرو في هذا، فقد قال (الشافعي)[2] رحمه الله – موجزاً-: (أبى الله أن يتم كتاباً غير كتابه).

.. وأحسب أيها القارىء.. أو إحتسب فعل ذلك، لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾(المائدة : ٢)، فإن لم يكن ذاك بداعي البر، ألا فاحسبها كـ (هدية) منك تُسديها لأخيك المؤلّف على ما تجده في عطاء طَرحه بين يديك – وقد بذل لك.. ولخدمة العلم: صاحبه[3]– .. لمقولة "عمر" النافذة في التاريخ: (رحم الله من أهدى إليّ عيوبي)، لأني أو أظن ظناً يقربُ من اليقين رأني بلَغت أو قاربت مرام ما أطرحه.

فالمجال مفتوح.. ومُتاح، والباب لم (ولن) يُوصد لمن شاء إما الإسهام أو للتصويب.

---

(١) وأقول ما يلزم حتّاً، لأن في كثير من حالات ما يطرح- وهذه من التنبيهات التي أحفظها للعلاّمة د. صالح اللحيدان- بقوله (إن.. النقولات المطروحة ليقرؤها الجلة من العباد ليس بذي حيف أن يتركها أو بعضها.. الكثيرون ممن يطلعون بحق وصدق وهم من العلية في سعة الإطلاع ونباهة الفهم وسداد الإدراك الاستقصائي من ذوي الشعور بالمسؤولية)..الخ -- قصده/ لما هو واضح الصواب الذي جانبها-

(٢) وهو صاحب هذه الجملة الجليلة: (ما ناظرت أحداً إلا دعوت – أو إلا تمنيت- أن يُجري الله الحق على لسانه).

(٣) .. لكن وتذكيراً بـ قاعدة: " إذا كان كل عمل الإنسان صواباً أصبح معصوماً- كالأنبياء- ، وإذا كان كل عمله خطأً.. أصبح مجنوناً" .. لكن الميزان – الحق- أن إذا غلب الصواب الخطأ أصبحت التجربة.. أقرب للنجاح، وصحة القياس، و(العكس صحيح)، ويقرّب أهل الرياضة: (أفضل الحكام.. أقلهم أخطاء).

رقم الصفحــة :

رقم الهامـــش :

أو/ ملحظ مهـم (مما يُلحق على الكتاب):

....

....

....

على العنوان التالي :

إما الإلكتروني / mohsnali @yahoo.com

أو / البَريــدي / ص . ب : ٢٥٩٨٥

- الـريـاض : ١١٤٦٧-

أو برسالة نصية على الجوال/ ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨

أو علــى الفاكــس / ٤٧٧٤٨٦٢ ـ ٠١

مشكوراً على صنيعه

ومأجوراً به،،،



صدر لـ (المؤلّـف) :

أ- كُتـــب :

١) فارس الكلمة (المتنبي) ط ١٤١٧هـ ، و(ط) الثانية : - ١٤١٩هـ.
٢) نصف قلب – ط ١٤١٨هـ
٣) ديوان البيان – (جزئين) في مجلّد واحد – ط ١٤٢١هـ.
٤) هادم اللذات - ط ١٤٢٥هـ.
٥) هذا أبي (الشيخ علي) – ١٤٢٧هـ.
٦) محمد ﷺ، بعنوان : (منهل من السّيرة الزكية لخير البرية) ط ١٤٢٨هـ
٧) وفاءً.. لمن (وفّى) - ١٤٢٩هـ -
٨) الحياة الطيبة - ١٤٣٠هـ -
٩) اللين.. أولى المطالب، في التعامل والتخاطب (بين يدي القارىء) - ١٤٣١هـ-

وقريباً - بإذن الله - :

١٠) من محاسن المرض الغائبة - تحت الطبع –
١١) اروى الظمآن من آداب القرآن – تحت الطبع-
١٢) لماذا لا يُقرأ الشعر – تحت الطبع-
١٣) أفكار .. تستحق الابحار .
١٤) مساوىء دُعاة المُساواه – بين الجنسين –
١٥) عرضٌ لطيف لمنهجية التأليف.
١٦) بيان .. ما تيسّر من آيات القرآن .
١٧) كيف يُقرأ الكتاب؟- تحت الطبع-

ب- رسائـــل (مطويات):

١) الاستغفار – جلاء القلوب – ط ١٤٢٥هـ.
٢) باقة رمضانية – في/ رمضان ١٤٢٦هـ.
٣) الناصرية.. قضيّة لها بقية – ط ١٤٢٢هـ. (طبعة خاصة).
٤) أيها الشاب - نصائح عامة ١٤٢٧هـ-
٥) بين صلاتي رجلين، بُعد المشرقين – تحت الطبع -

- مع الإسهام (بفضل الله) .. في: الكتابة الصحفية.. في الأدب والاجتماعيات-

الـخُـلاصــــة

فـي (اللين) —تحسبه كـ : الرفـق، في المقصد.. منه — لأنّــه:

{ مــا كــان فــي شـيء إلا زانـــــه ..

ومــا نُــزع مـن شـيء إلا شـانــه.. }

صدق رسول الله

- صلى الله عليه وسلم-

إطـــار

آيـــــة :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

حديـــث :

{ لن تملكوا الناس بأموالكم، ولكن بأخلاقكم}

فِقـــــه :

الدين هو: التوحيد الحق، والإحسان للخلق.

.. فـ (من زاد عليك في الإحسان، زاد عليك في الدين).

الحِكم :

" عجيب لمن يشتري (العبد) بما له .. ولا يشتري (الأحرار) بأقواله وأفعاله" .

– نثراً – :

.. قالوا (الكلام اللين يغلب الحق البين)

– وشعراً – ..

إذا كُنـت لا أعفـو عـن الـذنب مـن أخٍ   وقلـــت أُكافيــــه، فـــأين التفاضــــل؟

و.. موجز هذا.. – أي .. (اللَّين)، أن يكون :

" .. لا غلظة في المقال، ولا فظاظة في الأفعال"

مطابع الحميضي هاتف، 2130130 فاكس، 4387817